وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت-

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي
موسومة بـ

الحملات الجهادية في الأندلس على عهد بني عامر

(366 – 399 هـ / 977 – 1009 م)

مـن اعداد الطـــالبين:

- **بوغفالة بلقاسم.**
- **سي يوسف محمد.**

تحت اشراف الأستاذة:

د: تريكي فتيحة.

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الصفة
شرقي نوارة	رئيساً
تريكي فتيحة	مشرفاً مقرراً
بورملة عربية	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية:

2021-2020 م / 1441-1442 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

ا لحمد لله حمدا يليق بجلاله وكماله والصلاة والسلام على

سيدنا مُحَّد طب القلوب ودوائها وعافية الابدان وشفائها ونور الابصار

وضيائها وقوت الارواح وغذائها وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

عملا بقوله **"مَن لَم يَشْكُرِ النَّاسَ لَم يَّشكُرِ الله "**

اتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة "تريكي فتيحة " على كرامها وتفضلها بالإشراف على هذه المذكرة المتواضعة ، كما اشكرها على تلك الثقة التي وضعتها فينا بحيث تركت لنا حريه البحث من اجل تسهيل مهمتنا و كذا شكرنا الخالص الى والدي اللذان قدما لي الدعم كامل بدعواتهم لي لإنجاز هذا العمل

وحتى لا أنسى التقدم بالشكر الى الأسرة الجامعية من الطلبة والاداريين والأساتذة لجامعة ابن خلدون – تيارت –

بارك الله لنا ولمن ساهم في تعليمنا ولمن سقطت عينه على مذكرتنا

اهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والذي يسر لنا هذا العمل وسخر لنا عبادا أرشدونا ومهدوا دربنا الى هدف النجاح

فلا ننسى فضلهم علينا وخاصة الى مشرفتنا الأستاذة " تريكي فتيحة " في الأول

اهدي هذا العمل المتواضع الى نبع الحنان وفيض الأمان " الوالدان " والى شركاء الرحم اخوتي وأخوات الأعزاء، والى رفاق الدرب مخطار، محي الدين أمين، عبد الغني، خالد، حكيم، عبد الله ... وكل من له صلة بي وأحبني في ظهر الغيب من قريب او بعيد

وفي النهاية

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما غلق والخاتم لما سبق وناصر الحق بالحق والهادي الى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

برغنالة بلقاسم

إهداء

قال تعالى :" وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وَعَلَى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين " (النمل، 19)

بعد شكر الله عزوجل ثنائه ، علي توفيقه لنا في إتمام هذا العمل المتواضع نتقدم بأسمى عبارات العرفان والتقدير والشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة : " تريكي فتيحة "على تفضلها بالإشراف على هذه المذكرة البسيطة

كما تقدم بإهداء هذا العمل الى أخي و اختي، و الى من تقاسمنا معهم طعم الحياة بحلوها ومرها، وأصدقائي يوسف، أيمن، عبد الرزاق، عبد الغني، ويسي مُحَّد، وبهاء، وجميع أعضاء النادي العلمي الرازي وتحية خاصة إلى أخي الذي لم تلده أمي "بوغفالة بلقاسم" والى الذين لم يبخلوا علينا ولو بدعوة في ظهر الغيب ،

والحمد لله الذي مكننا من اتمام هذا العمل

سي يوسف محمد

دليل الاختصارات:

دكتور	د
قسم	ق
جزء	ج
صفحة	ص
هجري	هـ
ميلادي	م
عدد	ع
ترجمة	تر
مجموعة	مج
صححه	صح
تعليق	تع
تقديم	تق
تصميم	تص
طبعة	ط
تحقيق	تح

مقدمة

مقدمة :

تعد الحقبة التاريخية التي سيطر فيها المسلمون على مقاليد الحكم في الأندلس ذات أهمية كبرى في التاريخ الإسلامي ، منذ أن وطأت أقدام الفاتحين أرض الأندلس فإنها تعرضت لموجات متتالية من الهجمات الضارية سواء من نصارى شمال الأندلس أو من المغرب جنوبا .وقد شهدت هذه الظروف بروز شخصيات فذة ساهمت في تغيير مجرى تاريخها السياسي والعسكري كشخصية المنصور مُحَّد بن أبي عامر الذي اسس الدولة العامرية في قلب الخلافة الأموية ومنذ أن إستولى المنصور على زمام الأمر لم يهدأ له ساكن ،حيث شهدت بلاد الأندلس في وقته عصرا ذهبيا احتلت فيه الصدارة بين مصاف الأنظمة السياسية في ذلك العصر، خاصة بعد انتصاراته المتتالية التي منحته تأييداً شعبياً واسعاً وانعكست على استقرارها، وأهم ملامحها السياسية والعسكرية الدور الجهادي الذي قام به المنصور وأبنه عبد الملك من بعده في فترة حكمهما للأندلس من غزوات شاتئة وصائفه شنها المنصور وأبنائه على الممالك الإسبانية المسيحية.

وتكمن أهمية الموضوع **الحملات الجهادية في الأندلس على عهد العامريين (366_399هـ/977_1009م)** في التطرق لأهم الحملات العسكرية التي وقعت في الأندلس على عهد العامريين، ومن هنا تبرز أعظم شخصية قادة أكثر من خمسين معركة دون أي هزيمة انها شخصية مُحَّد بن أبي عامر مؤسس الدولة العامرية فلا يمكن التطرق لهذا الموضوع دون ذكر هذه الشخصية التي قادة معظم هذه الحملات في تلك الفترة . إضافة إلى التعرف على أحوال الأندلس في فترة حساسة أي كيفية انتقال الحكم من طفل إلى رجل راشد ، ومن خلال هذا فقد جاء عنوان مذكرتنا:

ومن دواعي تطرقنا لهذا الموضوع اهتمامنا الكبير بتاريخ الأندلس الإسلامي ومعرفة الجانب العسكري السائد في هاته الفترة، فضلا عن معرفة سيرة مؤسس هذه الدولة، مما جعلنا نسعى بكل ما تيسر بين أيدينا من مصادر ومراجع ، للإلمام بالقدر الكافي من المعلومات حول تاريخ هاته الدولة، **ومن اهم الدارسات السابقة التي تعرضت للدولة العامري ولشخصية المنصور** " جهود مُحَّد بن أبي عامر في بناء الدولة العامرية " مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ماعداد الطالبين بوتارشة حليمة وبن قمار الجيلالي ، وتطرق الى ذكر شخصية الحاجب المنصور من البداية حتى وفاته دون أن يذكر

حجابة أولاده "الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية" لنيل درجة الماجيستير في التاريخ الاسلامي من إعداد الطالب علي أحمد عبد الله القحطاني، وفي هذه المذكرة فقد تعرض للجانب السياسي والحضاري وأهمل الجانب العسكري.

ومن خلال هذا نطرح الإشكالية التالية: ما مدى فعالية ونجاعة الخطط العسكرية التي اتبعها المنصور في تحقيق انتصاراته المتتالية ؟وما هي انعكاساتها على الدولة الاموية سياسياً وعسكرياً وتتفرع عنها عدة تساؤلات أهمها :

-. ما هي أهم مميزات المنصور التي مكنته من خرق النظام الأموي ؟ وكيف انعكس على واقع الأندلس ؟ .

_ ما هي أبرز العقبات والشخصيات التي وقفت في وجه المنصور ؟.

_ وكيف كانت سياسته داخليا وخارجيا ؟

- ما حجم مساهمة المنصور في التنظيم العسكري للدولة ؟

المنهج المتبع:

أما المنهج المتبع في الدارسة اعتمدت على المنهج التاريخي لما تقتضيه طبيعة الموضوع التاريخية تتبعت فيها المرحل التاريخية التي مر عليها المنصور لوصوله إلى السلطة. وللإجابة عن هذه الإشكالية والتساؤلات، قسمنا موضوعنا هذا إلى مقدمة وفصل تمهيدي و ثلاثة فصل وخاتمة .

_الفصل التمهيدي بعنوان طموحات المنصور في الوصول الى السلطة تطرقنا فيه الى التعريف بشخصية المنصور و كيف كانت نشأته والى جوانب من شخصيته و تدرجه في اعتلاء المناصب

_الفصل الاول فقد تطرقنا فيه خبايا البيت العامر وازمة الخلافة بعد وفات الحكم وتوريث ابنه هشام الخلافة من بعده ،وقد تعرضنا فيه الى كيفية قيام المنصور بإحباط مخطط الصقالبة والقضاء عليهم ،ودوره في تولية هشام للخلافة ثم تطرقنا الى مكائده وخططه في التخلص من منافسيه وكيفية توليه منصب الحجابة وتحقيقه لغايته بالوصول لأعلى المناصب وتلقبه بالمنصور .

_الفصل الثاني الموسوم بنفوذ وتأثير سلطة البيت العامري على صلاحيات بيت الخلافة الاموية وقد تطرقنا الى الجانب العسكري نموذجاً وقد تضمن تكوين جيش نظامي خاضع له الى جانب المواد العسكرية المستعملة في وقته ،والبنية التكوينية للجيش الذي اسسه .

_الفصل الثالث الاخير والذي محور دراستنا جاء تحت عنوان النشاط العسكري للعامرين تطرقنا فيه لأهم غزوات المنصور ضد النصارى ثم حملاته ضد المغرب و الفاطمين وتضمن ايضاً حنكة المنصور في تنفيذ الخطط العسكرية ثم وفاة المنصور في غزوته الاخيرة وتولي ابنه عبد الملك الحجابة ،و في الاخير تولي عبد الرحمان الحجابة بعد وفات اخيه المظفر ونهاية الدولة العامرية وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدارسة على شكل نقاط مختصر .

التعريف بقائمة المصادر والمراجع :

وبما أن دراستنا تتركز حول شخصية ابن أبي عامر ولإظهار الموضوع في صفة بحثه الأكاديمي توجب علينا الإعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التاريخية التي بفضلها بلورنا موضوعنا و أتممنا فصوله.

المصادر:

فالمصادر رغم قلتها لكن هذا لم يمنعها من إستخدام بعض المصادر المهمة من بينها :

1_ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة للحسن ابن بسام التغلبي النستريني (ت 542هـ/ 1148م) وهو من أبرز أعلام الكتاب والنقاد تحدث عن الأخبار السياسية والاجتماعية والعسكرية أثناء امراء الأندلس وحكامها ، استفدت منه في الفصل الثاني و الثالث خاصة في الأشعار والنصوص النثرية في العهد العامري.

2_نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لأبو العباس احمد بن مُحَمَّد بن أحمد المقري التلمساني الملقب بشهاب الدين (ت 1040هـ /1630م) أفادني في التعريف بالشخصيات وذكر جوانب من شخصية المنصور .

3_كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي وهو مؤرخ مغربي عاش في القرن السابع الهجري. وقد تحدث عن تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى عصر دول ملوك الطوائف، واستعملنا منه الجزء الثاني ، وهذا المصدر استفدنا منه كثيرا من الناحية السياسية و العسكرية نظرا لدقته في تناول الأحداث التاريخية.

4_كما أمدنا كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام للمؤرخ لسان الدين ابن الخطيب، الذي عاصر دولة بني الأحمر في غرناطة وعاش في القرن 8هـ\14م بحقائق

تاريخية جدّ قيمة، تناول فيها كتابة تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى عصره، انتفعنا من خلاله فيما يخص الجانب السياسي و العسكري .

5_روض المعطار في خبر الأقطار للحميري مُحَّد ابن عبد المنعم (ت 786هـ / 1384م) استفدت منه في الفصل الأخير بوصف بعض الأماكن والمدن وثرواتها الطبيعية في الأندلس

المراجع:

أما المراجع فهي كثيرة وإن تغلب عليها طابع التكرار والتشابه في كثيرة من الأحيان، وقد استعملنا مراجع باللغة العربية من أهمها كتاب دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان، في جزئه الثاني وهو كتاب قيم جدا تناول تاريخ الدولة العامرية وشخصيته ابن أبي عامر من كل الجوانب. بالإضافة إلى مرجع آخر للمؤلف عبد المجيد نعنعي في كتابه، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، وهو مرجع مهم جدا استفدنا منه كثيرة خاصة في شخصية المنصور والناحية السياسية و العسكرية له .الى جانب مراجع اخرى مهمة .

الصعوبات:

قد لا يخلو أي بحث من الصعوبات والعوائق، ومن جملة الصعوبات التي اعترضتنا ، تتشابه وتتداخل المعلومات مع بعضها البعض مقارنة بطبيعة الموضوع الذي يحتاج إلى مجهود وبحث أكثر.كما وجدنا صعوبات في قراءة المراجع الأجنبية لافتقارنا إلى اللغات الأجنبية،

وفي الأخير لا نقول أننا تمكنا من الموضوع، من كل جوانبه نظرا لشموليته واتساعه، وينقصه نوع من التدقيق والتركيز خاصة في علاقاته بالعامة وتوليه المناصب العليا التي لم نعثر على الكثير من المعلومات فيها خاصة العسكرية والسياسية إلا القلة ، هذا ما يجعل البحث في هذا الميدان مستمرة وأبوابه مفتوحة لأهل العلم.

الفصل التمهيدي:

طموحات المنصور في الوصول الى السلطة

1. التعريف بشخصية المنصور.
2. نشأته.
3. جوانب من شخصيته.
4. تدرج مُحَمَّد بن أبي عامر في اعتلاء المناصب.

1. التعريف بشخصية المنصور:

تعتبر سيرة حياة المنصور من أروع سير الطموح البشري والتطلع الانساني نحو مراتب المجد والسيادة ،سيرة شاب دفعه طموحهُ ومسعاه إلى أن يبلغ ما يريد من جاه وسلطة ،سيرة شاب وهبهُ الله عزيمتًا جبارة وأودع بين جنبيه نفساً بعيدة المطامح ،شاب أصبح مفخرة التاريخ العربي الإسلامي ،ومن هنا سنتعرف على سيرة وأصل الحاجب المنصور مُحَّد ابن أبي عامر الذي حاز على دولة الأندلس ونّصب نفسهُ ملكاً عليها.

هو أبو عامر مُحَّد بن أبي حفص عبد الله بن مُحَّد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر مُحَّد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك العامري من أسرة عربية يمنية[1]،الداخل إلى الأندلس مع طارق، وكان له في فتحها أثرٌ جميلٌ ، وكان في قومه والمعروفين بقرطبة ببني برطال، فنكح بُريهمة بنتُ يحي بن زكريا فولدت لهُ أبا عامر المنصور وأخاه يحي ،وكانت أم عبد الله والدة المنصور بنتُ الوزير يحي بن إسحاق وزيرُ الناصر لدين الله وطبيبهُ.[2]

ونزلت أُسرة بني عامر الجزيرة الخضراء أقطعت حصن طُرش[3].وظهرت بالعلم والوجاهة وتولى كثيرٌ من أبناءها مناصب القضاء الإدارة، ووُلد مُحَّد بن ابي عامر بحصن طرش سنة (327 هـ 939م)[4] السنة نفسها التي تكبد فيها الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر الهزيمة العظيمة الخندق[5]

---

(1) ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ،تر، ليفي بروفنسال ، س.ج كوالن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ،ج1، 1956 ، ص59.

(2)ابن عذاري أبو العباس أحمد بن مُحَّد ،البيانُ المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ،تح بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، تونس،ط1، مج2، 1434-2013، ص247

(3) **طُرش**، مدينة ساحلية في جنوب الأندلس ، افتتحها العرب وكانت قاعدتها لبني عامر، أنظر، منجد الأعلام ، ط27 ، دار النشر، بيروت ، لبنان ، ، 1973ص .43

(4) أبي عبد الله إبن الابار ،الحلة السيراء ،تح حسن مؤنس ،دار المعارف القاهرة ، ج1، ط1، 1963 ، ص148

(5) الخندق وقعت احداث هذه المعركة سنة (327هـ-939م)اي بعد سبع وعشرين سنة من بداية عهد عبد الرحمان الناصر ,المقري نفح الطيب ص355

2. نشأته:

كان مُحَمَّد بن أبي عامر حَسَنَ النشأة، ظاهر النجابة، تُتفرَّس فيه السّيادة، سلك سبيل القُضاة في أوّليّته مُقتفياً اثار عُمُومته وخؤولته ،[1]

فقد نشأ في بيت العلم و الدين ، جده أبو عامر مُحَمَّد بن الوليد كان أحد موظفي الدولة في قرطبة. تولى أعمامه وأخواله الإشراف عليه بعد موت والده ، وأحرز تقدما ملحوظا في طلب العلم والفقه والأدب ، رحل إلى قرطبة لطلب العلم وهو في العشرينيات من عمره ، من أشهر معلميه: أبو علي الفالي ، البغدادي وأبو بكر بن معاوية القرشي ، وأبو بكر ابن القوطية ، الذي أشرف عليه في تعلم اللغة العربية والبلاغة ،وصف بأنه كان طالبًا ذكيًا طموحًا عالي الهمة [2].

ومن قصصه في حادثته أنه كان يوما مع أصحابه في متنزه بجهة الناعورة بقرطبة ومعه ابن عمه عمرو بن عسكلاجة [3]، وأبو الحسن المالقي ، وأبو موسى ابن عزرون ، والكاتب ابن المارعزي ، وكان ابن أبي عامر يتكلم بما يتكلم به دائمة من أنه لا بد أن يملك الأندلس ، ويقود العسكر ، وينفذ حكمه في جميع الأندلس ، فضحكوا ، فقال: «تمنوا علي!» فقال كل واحد منهم: ابن عمه عمرو : «أتمنى أن توليني المدينة نضرب ظهور الجناة وتفتحها مثل هذه الشاردة».[4]

. قال ابن المارعزي: «أشتهي أن توليني أحكام السوق»[5] ، وقال أبو الحسن المالقي: «أتمنى أن توليني القضاء بجهتي ، فأني أحب التين حتى أتشفى من أكل التين!»[6]، وكان ممن حضر في ذلك ذلك اليوم ابن عزرون فقال له ابن أبي عامر: «تمن أنت؟» فأسمعه كلام قبيحا ، حيث لم يعجبه

(1) ابن عذاري ، مصدر سابق ، ص 248./ وابن الخطيب مصدر سابق ص59

(2) المصدر نفسه ،ج2 ،ص257 ،

(3) في أغلب الروايات أسمه عمرو بن عبد الله ما عدا رواية واحدة تذكر أن أسمه عبد الله بن عمرو ابن الأبار أبي عبد الله ، الحلة السيراء ، تح، حسين مؤنس ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة، ج1، 1963، ص277.

(4) النباهي (أبن الحسن)، تاريخ قضاة الأندلس، ت/مريم قاسم، دار الكتب العلمية،لبنان، ط1 ، 1995، ص81.

(5)النباهي (أبن الحسن)، المصدر السابق ، ص81.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ص78.

طموح المعافري ، وفي رواية عن المراكشي؛[1] أنه قال «يطاف في أسواق قرطبة ووجهي إلى ذنب حمار وأنا مطلي بالعسل ليجتمع علي الذباب والنحل» ، فلما صار الأمر لابن أبي عامر ، أعطى كلا منهم ما تمنى وغرم ابن عزرون مالا كثيرا حتى فقر لقبح مقاله و سوء تدبيره [2].

. إن المتأمل في النص يعكس لنا مدى الحنكة والشغف الذي كان يتمتع به المنصور مُحَمَّد بن ابي عامر بغية الوصول إلى مآربه ،وتقلد المناصب السياسية في السلطة ،مُتخلصاً من كل العقبات وبأي طريقة كانت ف الغاية لا تبرر الوسيلة. فقد كان. هذا هو المنطلق في سياسته لبلوغ أهدافه

وله قصة أخرى مع قريب له أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسحاق التميمي ، ومفادها أنه كان ينزل عنده في حجرة فوق بيته في قرطبة ، وأنه دخل عليه آخر الليل وكان في مكانه لم يتغير عنه ولم ينم ، فسأله عن سبب عدم نومه؟ فقال: «فكرة عجيبة! فقال التميمي: بماذا تفكر؟ قال: فكرة إذا أفضى إلي الأمر ومات مُحَمَّد بن بشير القاضي فبمن يمكن استبدله؟ ومن الذي يقوم مقامه؟ فجلت الأندلس بخاطري ، فلم أجد إلا رجلا واحدة ، قلت: مُحَمَّد بن سليم؟ قال: هو والله لشد ما اتفق خاطري وخاطرك»[3].

فكان ابن أبي عامر مشغولا بأمور الدولة حتى قبل توليها ، وأصبحت هذه الأفكار ومسائل الحُكم حلمه وشغله الشاغل ، وهاجسه الوحيد، الذي عمل على تحقيقه بكل ذكاء ومهارة.

ثم اقتعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافعين للسلطان ،إلى أن طلبت السيدة صبح أم المؤيد أن يكتب عنها ،فعرفها به من كان يأنس إليه بالجلوس من فتيان القصر ،فترتقى إلى أن كتب عنها فاستحسنته ،ونبهت عليه الحكم ورغبت في تشريفه بالخدمة فولاه قضاء بعض المواضع فظهرت ،منه نجابة فترتقي إلى الزكاة والمواريث بأشبيلية ،ثم نقله الحكم من

(1) المراكشي محي الدين عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، مُحَمَّد العريان ،القاهرة ، 1938 ، ص29.
(2) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص 78. / المراكشي ، المعجب ، ص29.
(3) المراكشي ، المعجب ، ص29.

خطة القضاء إلى الوزارة لولده هشام ،ولما مات الحكم الذي كان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده فتى في سن الصبي[1].

وكان اذا استهدف هدفا وجه اليه إهتمامه الا أن يبلغه مهما كلفه الأمر ، ثم يمضي قدما اليه لا يثنيه عنه ثان ، ولا يرده عنه شيء وكان شابا ذكياً، سريع الفهم، مشبوب العاطفة ، مرهف الحس سريع الغضب، يؤثر من الكتب الحوليات القديمة عن تاريخ أمته ، وكان أهم ما يا يلفت إنتباهه في هذه الأخبار الغابرة صور المخاطرات التي قام بها أولئك الرجال الذين نشأ أغلبهم بين طبقات دون طبقته بكثير وتدرجوا في المناصب حتى بلغوا أسمى المراتب ، فاتخذهم مثلا يحتذيه ، وكان لا يكتم مطامحه عن أقرانه لذلك طالما اتهموه بالجنون وليس به مس منه [2] .

والواقع أنه لم يكن يسيطر عليه غير فكرة واحدة شغلت كل تفكيره ، وهي بلوغ أسمى المراتب في الدولة ،ولم تكن هذه الفكرة ظرباً من الخيال بل ترجع إلى العبقرية ،وطموحه الكبير الذي كان يسعى الى تحقيقه، كما كان على جانب كبير من المواهب العظيمة .

(1) علي أحمد عبد الله القحطاني ،الدولة العامرية في الأندلس، جامهة أم القرى ،السعودية ،ط1 ، 1981 ، ص522 / عبد السلام أحمد الرفاعي ،الحاجب المنصور ،المطبعة الرحمانية ،ط1 ،1354_1936 ،ص9.

(2) رينهرت دوزي ، المسلمون في الأندلس ، إسبانيا الإسلامية ، تر حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، ج2، 1994، ص 73. القحطاني ،مرجع سابق ، ص31

3. جوانب من شخصيته:

كان مُحَّد بن ابي عامر ذو شخصية قوية ،وهمة عالية ،يقول ابن الخطيب في هذا الصدد أسعد أهل الأندلس ، وأشهرهم بأساً و ندا ، وأبعدهم في حسن الذكر مدا، الحازم العازم" ، العظيم السياسة ، الشديد الصلابة ، القوي ، الثبت الموقف ، مُعودُ الإقبال ومُبلغُ الآمال ، الذي صحبتهُ ألطافُ الله الخفية في الأزمات ، وأظهر له النصر العزيز في نحو سبع وخمسين من الغزوات ؛ ولم تفارقه السعادة حالتي المحيا والممات.[1]

ولقد شغف بالعلم والعلماء ، وأحب الأدب ، وشجع الشعر ، وأغدق على أصحابها ، وأنعم على روادها وذويها بالعطايا الجزيلة ، وزخرف البلاد في عهده بطائفة من مشهورى العلماء والأدباء والشعراء ، وكان له كل أسبوع مجلس يجتمع فيه العلماء وغيرهم للبحت والمناظرة ، وليس هذا بالعجيب عليه فانه الأديب المحسن ، والعالم المتفنن[2]

ومن أهم ما نلاحظه من جوانبه الشخصية ،نقائض الطبائع البشرية في تعامله مع الاصدقاء والخصوم ، وكانت الجزالة و الرجولة ثوبه الذي لم يخلعه إلى أن وصل إلى ربه ، و الحزم والحذر شعاره الذي لم يفارقه طول حياته، والنصب والسهر أنه في يومه وليله ، لا يفضل لذة" على لذة تدبيره وحلاوة نهيه وأمره فينفذ الأمور ، والكأس تدور ، والجبال للطرب تمور[3]

وعلى الرغم من أن المنصور أصبح صاحب الكلمة النافذة ، وصاحب السلطة المطلقة في الدولة ، فلا منازع ولا منافس ، إلا أنه لم يكن بالمتجبر المذموم ، ولا بالمتكبر الذي إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم، ولا بالظالم الجهول الذي لا يخشي ربه ، بل كان إذا ذكر بالله ذكر أو إذا خوف من

---

(1) ابن الخطيب ،مصدر سابق، ص 58

(2) خالد الصوفي ، عصر منصور الأندلس، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1951، ص 13، / جودة هلال ، هلال جودة و محمود صبح مُحَّد ، قرطبة في التاريخ الإسلامي ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1986 ،د ط ، ص140.

(3) ابن الخطيب ،مصدر سابق، ص 75

عقابه ازدجر، يحب العدل و يعين عليه ، و ينفر من ظلم رعيته ، و يقسو على الظالم حتى يأخذ للمظلوم حقه [1].

4. تدرج مُحَّد بن أبي عامر في اعتلاء المناصب:

ليس غريبًا ما وصل إليه ابن أبي عامر ، فقد شغله أمر البلاد وتدبير أحوالها منذ صغره ، وكان حلم الرياسة يراوده و يسيطر على تفكيره ويسير كل تحركاته ، ولما أتم دراسته فتح مكتبًا بجوار باب القصر ليكتب الرقاع للناس الداخلين إلى الخليفة لكي يسألوه عن حوائجهم[2] ، ثم شغل وظيفة صغيرة في محكمة قرطبة عند القاضي ابن السليم [3]، الذي كان يكره ابن أبي عامر وأفكاره ، فيسأل جعفر المصحفي وهو حاجب الخليفة الحكم ، أن يرى وظيفة لابن أبي عامر عنده ليتخلص منه[4] .لقد استغل مُحَّد ابن أبي عامر مهارته العلمية و الادبية وشغفه في الوصول الى السلطة ، ويتضح لنا ذالك بإختيار دكانه قرب باب القصر .

وهذه كانت خطوة ابن أبي عامر الأولى داخل القصر ، ولما تعرف الخليفة الحكم عليه ، أعجب به فولاه قضاء كورة رية ، ولما لمس فيه الخليفة من الذكاء والنباهة وحسن الإدارة أوكل إليه إدارة أملاك ابنه عبد الرحمن أبي الوليد ، فتحرك حاله في الدولة [5]، وقد شاءت الأقدار أن يتوفى ابنه عبد الرحمن وهو ابن خمس سنوات ، فيوكل إليه الخليفة إدارة شئون أملاك السيدة صبح أم ولده هشام وهي إحدى جواريه ، وهي بشكنسية الأصل وقد كانت أسيرةً عنده ، ولم يثر ابن أبي عامر إعجاب

(1) جودة الهلال ،مرجع سابق ، ص144

(2) المقري المقري شهاب الدين احمد بن مُحَّد المعري، نفح الطيب من غصن الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح، احسان عباس،دار صادر، لبنان، بيروت ،ج1، ص83.

(3) الخشني، القضاة ، ص 207.

(4) دوزي، مسلمون في اسبانيا ، ج2 ، ص 74.

(5) ابن عذارى، البيان المغرب ، ج2 ، ص 237.

السيدة صبح فقط بل جميع الحريم في القصر ، وكان يدهشها دائمة هداياه ودمائته ، ولباقته ، وحسن خدمته ، وقد أجمعت المصادر التاريخية العربية على ذلك[1].

وترقى ابن أبي عامر بسرعة مدهشة ، فولي الشرطة الوسطى والمواريث والسكة؛ وهي الأرفع بين الخطط ، في 7 محرم 358هـ/ 1 ديسمبر 968م[2]. وقرن ابن أبي عامر هذه الوظائف بقضاء كورة أشبيلية ولبلة. ولي قضاها في يوم الأربعاء 12 ذي الحجة 358هـ / 28 أكتوبر 968 م[3] وبعد موت ابن الخليفة عبد الرحمن ، تولى ابن أبي عامر وكالة ابنه الثاني هشام في 4 رمضان 359 هـ 12 يوليو 969 م[4] ، وهكذا بلغ ابن أبي عامر ال 31 من عمره، وهو يشغل خمس وظائف في الدولة بالإضافة إلى وكالة هشام وأمه، الأمر الذي أغرى حساده للوشاية به عند الخليفة بأنه يختلس المال من بيت المال ، وصدف فعلا أن ابن أبي عامر أخذ مالاً من بيت المال وذلك لتدبير بعض شؤونه على أمل أن يردها قبل أن يشعر على فقدانها ، لكن الحكم أراد جرد بيت المال ، فأسرع ابن أبي عامر للوزير أبن حدير وصارحه بحرج موقفه فساعده ابن حدير ولما تم الجرد كانت الأموال سليمة فتأكد للحكم حسن ظنه بابن أبي عامر ولم يقيل عنه كلامًا بعد ذلك[5].

وضمن ابن أبي عامر مكانته في القصر ، لكن طموحه اقتضى أن يبني علاقات مع قواد الجيش فهو يطمح للرياسة ، وهذا لا يكون بدون جيش وقواد يسمعون له ويعطيعون ، وهو بَعْدُ لا يعلم شيئا عن الجيش ولا قواده وكانت الأوضاع في بلاد المغرب مواتية ليختلط بقادة الجيش.

---

(1) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،دار الرب الإسلامي،بيروت ، لبنان، 1981، ق4 ،م1 ، ص 60 . /ابن الأبار، الحلة ، ج1 ، ص 268./ ابن عذارى، البيان المغرب ، ج2 ، ص237. / ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة، ج2، ص103.

(2) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمان علي حجي، منشورات أنطونيه ، دار الثقافة بيروت، 1983م ص 41. / ابن بسام، الذخيرة ، ق4، م1 ، ص 60. / ابن عذارى، البيان المغرب ،ج2، ص 239. / ابن حوقل، صورة الأرض ، ص108.

(3) ابن بسام، الذخيرة ، ق4 ، م1، ص 60. / ابن عذارى، البيان المغرب ،ج2 ، ص 239.

(4) ابن عذارى، البيان المغرب ،ج2 ، 239.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص239 . / دوزي، مسلمي اسبانيا ، ج2 ، ص 75 ، 76.

بدأت الأحداث في المغرب بتمرد الحسن بن قنون بن إدريس الحسيني آخر ملوك الأدارسة بالمغرب الذي خلع ولائه للحكم وأعان بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي على الدعوة للمعد بن اسماعيل الفاطمي ، فأرسل الحكم قائده مُحَمَّد بن القاسم الذي جاز إلى سبته في ربيع الأول سنة 362هـ ديسمبر 962م والتقى بابن قنون في موضع يسمى فحص بني مصرخ ، وقتل مُحَمَّد بن القاسم وفر باقي جيشه إلى سبته[1] ، فأرسل الحكم قائدهُ العجوز غالب لمهارته العسكرية[2] ، ونجح غالب في مهمته لكنه أنفق الكثير من الأموال لجذب البربر وتأليبهم على ابن قنون ، الذي حاصره عند حجر النسر قرب سبته ، فأرسل الحكم مُحَمَّد ابن أبي عامر ومعه صاحب الشرطة الصغرى مؤتمنين ، ليشرفا على إنفاق الأموال وأن لا يتم إنفاق إلا بعد مشورتهما ، واستغل ابن أبي عامر موقفه لجذب القادة إليه خصوصا غالب وعمل بمهارة عالية على تنفيذ أوامر الخليفة وفي نفس الوقت استرضاء غالب و باقي القادة ، ولما عاد إلى قرطبة أخبر الخليفة بكل التفاصيل وكان راضيًا عنه وأثنى على مجهوده[3].

وولي غالب على المغرب الأخوان جعفر ويحي بن حمدون ، أما ابن قنون فقد هُزم وحمل إلى قرطبة ، وخرج الحكم وأهل المدينة الاستقبال الجيش المنتصر في 1 محرم 365هـ/ 21سبتمبر 974م، ولم تدم إقامة الحسن بن قنون إذ سرعان ما أجلاه الحكم بمشورة جعفر الصحفي إلى المغرب للتخلص من نفقته سنة 365هـ / 975م ، وهو الأمر الذي أغرى ابن قنون بأن يعاود التمرد أيام الخليفة هشام[4] .

أصبح ابن أبي عامر مؤتمنًا على الأموال بعد حرب العدوة ومحل ثقة الخليفة ، فقد أرسل له الخليفة بعد ذلك وهو قاضي العدوة أموالًا طائلة لينفقها على طنجة لضمان ولاء أهلها ، وكان نص رسالته لابن أبي عامر« وما يشك أمير المؤمنين في مناصحتك وأجتهادك وشكرك للنعمة بك

(1) ابن أبي الزرع ، أبو الحسن بن عبد الله (ت 741 هـ/ 1340م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس،ص91 ، دار المنصور الرباط ، 1972م.

(2) ابن حيان، المقتبس في أخبار الأندلس ، ص 102.

(3) نفسه ، ص 106 107.

(4) ابن أبي الزرع، روى القرطاس ، ص 93 .

والمشتملة عليك والله المستعان»[1]، وفي مرض الحكم بدأت ممالك الشمال تهاجم كور المسلمين في الشرق ، فأرسل الحكم المستنصر قائد البحر مُحَمَّد بن رمحاس إلى كور الشرق ، وصاحب الشرطة العليا أحمد بن مُحَمَّد بن سعد الجعفري إلى شنترين ، وابن أبي عامر صاحب الشرطة الوسطى إلى كور الوسط والغرب[2] .

بدأت صحة الحكم تتدهور وكان قلقاً على مسألة ولاية العهد لابنه هشام ، وكان يثق بخاصته وعلى رأسهم ابن أبي عامر الذي أصبح وزيراً متنفذاً فقد زادت مسؤولياته ففي جماد الآخر سنة 361هـ/ 371م جعله الحكم قاضي قضاة الغرب من بر العدوة ، وفي علته كان ينظر في أمر الحشم ، مما جعله مطلعاً على الأوضاع داخل القصر في هذه المدة الحرجة ، وهذا ما هيأ له الجو ليكون له دور فيما بعد في تنفيذ وصية الحكم[3].

نستنتج مما سبق أن مُحَمَّد بن أبي عامر من أصول عربية عريقة، واشتهرت أسرته بالعلم والوجاهة وتولي منصب القضاة والإدارة، فقد نشأ في بيت العلم والدين وأحرز تقدما ملحوظا في طلب العلم، ومن صفاته انه كان شجاعاً قوي النفس واسع الذكاء ،بعيد الطموح .

لم يكن مُحَمَّد بن ابي عامر من بيت الملك ،وانما سعي بجهده وذكائه ليتدرج في اعتلاء المناصب من خلال فتح دكان عند باب القصر ليصل بطموحه الى منصب الحجابة ،وهذا ما لم يكن يتوقعه منه مناوئيه لحقدهم عليه.

(1) ابن حيان، المقتبس في أخبار الأندلس ، ص123.

(2)ابن حيان،المصدر السابق، ص 126.

(3) ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك بن القاسم، الاكتفاء في تاريخ الخلفاء، تح، صالح بن عبد الله الغامدي ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط1 ، ج2، 2008، ص63.

الفصل الأول:

خبايا البيت العامري وأزمة الخلافة

1. دور المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر في إحباط مخطط الصقالبة والقضاء عليهم.
2. دور المنصور في تولية هشام للخلافة .
3. مكائد وخطط المنصور في التخلص من منافسيه.
4. توليه منصب الحجابة وتحقيق الغاية.

إن أخطر ما ينتج عن النظام الوراثي هو ارتباط حاضر الدولة ومستقبلها بشخصية غامضة هو ولي العهد ، فلا يمكن المراهنة بكفاءته ، ولا التنبأ بقدرته واسطاعته على تسيير أمور البلاد ، وخاصة في موقف الحكم المستنصر بالله؛ فقد حكّم العاطفة على العقل وذلك بأنه قام بتوريث إبنه هشام الذي هو في مقتضى العمر رغم وجود شخصيات أخرى لها قدرة على تولي أمور البلاد وفرض سيطرتها مثل أخيه المغيرة.

1. دور المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر في إحباط مخطط الصقالبة والقضاء عليهم.

أراد الخليفة الحكم المستنصر بالله ان يأخذ البيعة بالولاية العهد لإبنه هشام بن الحكم ، وكان لايزال طفلا صغيرا، وكان الخليفة خائفا من أن يتولى أخوه المغيرة الخلافة من بعده ، وقد عقدت البيعة لهشام بولاية العهد[1] وتقليد الخلافة بيد أبيه الحكم المستنصر[2]، وكان ذلك في مجلس قصر الخلافة بقرطبة في بداية شهر جمادى الثاني سنة 365هـ / فبراير976م ، ونفذت كتب البيعة إلى سائر أقاليم الأندلس وقد تولى ذلك مُحَمَّد بن أبي عامر وكان أنذاك صاحب الشرطة والمواريث ودعي لهشام بالخطبة في المساجد كما نقش إسمه على السكة وبذلك إطمأن الحكم المستنصر بالله على مستقبل ابنه هشام ومصير الخلافة من بعده[3].

ومن خلال عرض ماسبق يتضح جليا أن الحكم المستنصر حَكّمَ العاطفة على العقل في تولية إبنه هشام الذي لم يبلغ سن البلوغ وبذلك أودى بالبيت الخلافة الى الهلاك.

توفي الخليفة الحكم المستنصر بالله في الرابع من صفر سنة 366هـ / 976م[4] وكان خادماه فائق وجؤذر أول من علما بموته ، وقررا كتمان خبر موته ، وقاما بتشديد الحراسة على القصر حتى لايتمكن أحد من الدخول إلى الخليفة ، وهو في فراش الموته ، وجلسا يتشاورا فيما بينهما ، ثم عزما

(1) ابن بسام، المصدر السابق ، ص40.
(2) نفسه، ص41.
(3) ابن العذارى بيان المغرب ، ج2، ص 238.
(4) ابن العذارى، المصدر السابق، 242.

على تولية الخلافة لأخيه المغيرة بن عبد الرحمان الناصر عوض ابنه هشام وذلك خوفا عليه لأنه غير قادر على تحمل أعباء مسؤلية الخلافة لصغر سنه[1].

اتفق كل من فائقه وجوذر على ان يقر المغيرة بولاية عهد لهشام من بعده لكي يتمكن فيما بعد من تولي الخلافة، وقال فائق لجوذر "ينبغي أن نحضر جعفر بن عثمان المصحفي فنضرب عنقه فبذلك يتم أمرنا" ، إلا أن فائق رفض أن يفتتح الأمر بسفك الدماء[2]، فأرسلا في طلب جعفر المصحفي، فحضر ونعيا اليه وفاة الخليفة، وأخبراه بما أجمعا عليه في شأن نقل الخلافة للمغيرة، فأبدى لهما بالموافقة وقال لهما :"هذا والله أسدُّ الرأي وأوفق عمل ، الأمر أمركما ، وأنا وغيري فيه تُبّع لكما فأعزما على ما أردتما ، أستعينا بمشورة المشائخ ، وأنا أسير الى الباب فأضبطه بنفسي وأنفذ أمركما الى بما شئتما "[3] ، فبادر إلى ضبط أبواب القصر وهو غير راض في نفسه[4].

وإستدعى جعفر بن عثمان المصحفي أصحابه خاصة من الحكم مثل زياد بن أفلح مولى الحكم وقاسم بن مُحَمَّد ، ومُحَمَّد بن أبي عامر ، وهشام بن مُحَمَّد بن عثمان وغيرهم، واستدعى أيضا عصبته وأشياعه من زعماء البربر مثل بني برزال وسائر القادة فأجتمع له طوائف من أخيارهم ، فنعي لهم الخليفة وعرض عليهم مشروع فتيان الصقالبة في تنحية هشام بن الحكم وتولية المغيرة بن عبد الرحمان الناصر وأوضح لهم أن هذا المشروع خطر داهم عليهم ، وأنه إذا ولي المغيرة بن عبد الرحمان الناصر واستبد الصقالبة في بالأمر ، قضى عليهم وعلى دولتهم ونفوذهم ، ونكل بهم المغيرة والصقالبة، وإذا ولي هشام الولي الشرعي فإنهم يستبقون سلطانهم ونفوذهم وتغدو الدولة لهم ، فاقترح البعض على قتل المغيرة ، وتطوع مُحَمَّد بن أبي عامر لتنفيذ هذه المهمة[5].

---

(1) علي أدهم، عصر منصور الأندلس، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط1، ص 46 47.

(2) ابن العذارى، المصدر السابق، ص 238.

(3) نفسه، ص 251.

(4) مُحَمَّد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997، ص518.

(5) مُحَمَّد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 518.

وبعث جعفر المصحفي مع مُحَمَّد بن أبي عامر سرية من جند الموثوق فيهم وأحاط الجند بداره، ثم دخل اليه مع نفر من أصحابه، وأخبره بموت أخيه الخليفة ويتولى ابنه الخلافة، وأنه أتى ليتبين حقيقة موقفه ، فذعر المغيرة وأكد لمحمد بن أبي عامر أنه مطيع مخلص لكل ما تقرر ، وتضرع اليه أن يراجع القوم في أمره، ولكن الرد كان قاطعا في وجوب التخلص منه، فدفع اليه مُحَمَّد بن أبي عامر بعدد من الجند فقتلوه خنقا أمام زوجته، ثم أشاعوا أنه قتل نفسه ودفن في نفس مجلسه وهو في السابع والعشرين من عمره ، وكل هذا وقع في يوم واحد[1].

2. دور المنصور في تولية هشام للخلافة :

بعد مرض الخليفة الحكم بالفالج[2]، وجعفر يدير سلطانهُ ووقع إرجاف بموت الحكم، فأشار مُحَمَّد بن أبي عامر على جعفر بن عثمان باستركاب ولي العهد هشام في ذلك اليوم في الجيش؛ إرهاباً لأهل الخلاف، ففعل وركب في الناس ركبته المشهورة، ومُحَمَّد بن أبي عامر بين يديه؛ قد كساه الخزَّ ونقله إلى أكابر أهل الخدمة.

وأمر ولي العهد هشام في ذلك اليوم، وهو العاشر لصفر من سنة ست وستين، بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة في الزيت بقرطبة، وكانت إلى الناس مُستَكرهةً، فسرُّ بذلك أعظم سرور. ونُسب شأنها إلى مُحَمَّد بن أبي عامر، وأنه أشار بذلك، فأحبوه لذلك[3]. وبعد موت الحكم المستنصر بالله تحققت رغبته في بقاء الخلافة لابنه هشام بعد مقتل المغيرة بن عبد الرحمان الناصر واحباط مخطط الصقالبة .

---

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ص 252 253.

(2) الفالج: مرض عصبي يتصف بانعدام الحركة في أحد شقي البدن، ويفقده الحركة الإرادية، ناجم عن مرض في الدماغ أو الحبل الشوكي أو أعصاب خاصة، ومن أسبابه المؤثرات الخارجية (السقوط، الاصطدام)، وهو شكلان : شكل مفاجأ ويحدث بالحمة الدماغية (السكتة)، وشكل تدريجي وهو مثل الذي يحدث بالتخثر الشرياني.(ينظر: عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص425).

(3) ابن عذارى، المصدر السابق،ص250

وعليه قام الحاجب جعفر المصحفي ومُحَمَّد بن أبي عامر بتولية هشام بن الحكم المستنصر بالله الخلافة وقد أجلس هشام للخلافة صبيحة يوم الاثنين الرابع من شهر صفر سنة 366هـ / أكتوبر 976م، ولقب هشام المؤيد بالله وكان على عهد بيعة هشام بن الحكم جمهور من العلماء قولهم مسموع ، وأثرهم متبوع[1]، ولم يكن للخليفة هشام المؤيد بالله من الأمر الحكم شيئ لصغر سنه ، فقد سيطرة عليه أمه صبح البشكنسية في بادئ الأمر وعن طريقها ظهرت شخصية مُحَمَّد بن أبي عامر.

3. مكائد وخطط المنصور في التخلص من منافسيه:

بعد تنصيب هشام بن الحكم خليفة في الأندلس والتخلص من المغيرة الذي رشح للخلافة من قبل الصقالبة وقضاء على نفوذهم، وجد المنصور أمامه طريقا شاقا مليئا بالخصوم والأعداء في داخل البلاد وخارجها ولكنه إستطاع بعزيمته الجبارة وذهنه المتقدم أن يوقع بين خصومه ويضرب بعضهم ببعض ثم يصرعهم واحدًا تلو الآخر غير مبال بضمير أو أخلاق في سبيل الوصول إلى مآربه وكان أول خصوم المنصور هو رئيس الوزراء نفسه:

أ. جعفر المصحفي:

أدرك المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر أنه من أجل امتداد مخططه للسيطرة على الدولة الأموية بالأندلس ، يجب عليه التخلص من أقوي منافسيه في الحكم وهو الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ، لأنه الرجل الأول في دولة الخليفة هشام المؤيد بالله وقد إستأثر الحاجب جعفر بأعمال الدولة وجمع المال وبناء المنازل ، إلا أن المنصور قد عارضه في سياسته تلك ، إذ كان المصحفي والمنصور على طرفي نقيض ، فقد إستبدل المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر ببخل المصحفي جودا وبإقتناء الأموال اصطناع الرجال وقضاء حاجاتهم ، وأستمر المصحفي في منصب الحجابة والإشراف على

(1) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام ، ص48.

أمور الخلافة والقصر والمنصور يسايره غير راض عن سياسته في أمور الدولة ومعاملته للناس ، ويكن في نفسه القضاء عليه ، إلا أن الفرصة لم تكن قد سمحت بعد[1].

ثم إنحصرت المنافسة الفعلية في الحكم بين القائمين بإدارة شؤون الخلافة الحاجب جعفر المصحفي والمنصور مُحَمَّد بن أبي عامر ، إلا أن المنصور كان الأسرع في اتخاذ المبادرة، فقد كانت الضربة الأولى للصقالبة بسبب موقفهم المعارض من تنصيب الخليفة هشام المؤيد بالله وكان ذلك من تخطيط وتحريض المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر ، حيث استبدل الحرس القصر بعناصر جديدة موالية له[2].

في هذه الأثناء هجم القشتاليون على قلعة رباح[3] ، وقد ترك هذا الهجوم صداه المؤثر في عاصمة الخلافة قرطبة[4] ، فأقترح مُحَمَّد بن أبي عامر أن يقود جيش لصد هذا العدوان النصراني على القلعة، وقد وافق الحاجب جعفر على ذلك بعد أن تهاون كبار رجال الدولة في القيام بهذه المهمة ، وأمر الحاجب جعفر بتجهيز الجيش وأعطي المنصور مائة ألف دينار للقيام بتجهيزات الغزوة[5].

بعد عودة المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر من حملته منتصرا في سنة 366هـ/ 977م ، حظي برضاء الخليفة هشام المؤيد بالله وأمه صبح البشنكسية ، كما حظي بإعجاب الناس في قرطبة ، فأخذ يوسع نفوذه مستغلا نجاحه وإنتصاره في تلك الحملة ، فواصل مشروعه في التخلص ممن يقف في سبيل إنفراده بشؤون السلطة ومع هذا كان الحاجب جعفر المصحفي يشركه معه في أمور الدولة السرية والعلنية كلها ويرتاح لكفائته ، بينما يعمل المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر على القضاء

(1) إبن بسام ، المصدر السابق، ص 44.

(2) المقري ، المصدر السابق ، ج 1، ص 403.

(3) هي بين قرطبة وطليطلة لها حصن حصين على نهر آنة وهي مدينة محدثة في أيام بني أمية (أنظر الحميري: الروض المعطار،ص717).

(4) إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3 ، 1986، ص 333.

(5) ابن العذارى ، بيان النغرب ، ص 256.

عليه ومن ثم أخذت المنافسة بين الإثنين تتسم بطابع الظهور ، حيث أن المصحفي قد تيقض لأطماع التوسعية للمنصور في الإنفراده بالسلطة[1].

إستغل المنصور تدهور العلاقة بين قائد الثغر الأعلى غالب الناصري والحاجب جعفر المصحفي منذ أن إتهم الحاجب جعفر المصحفي قائد الثغر الأعلى غالب الناصري بالتهاون في الدفاع عن الحدود الشمالية للأندلس وخاصة أثناء الهجوم القشتالي على قلعة رباح[2] ، ولذلك وجد المنصور مُحَّد بن أبي عامر في ذلك مدخلا لاكتساب صداقة غالب والتعاون معه للقضاء على جعفر المصحفي وقد قويت هذه العلاقة بينهما في الحملة المشتركة التي قاما بها وأستهدفا قشتالة ورغم أن القيادة الفعلية كانت للقائد غالب إلا أن المنصور قد أبدي في هذه المعركة من البسالة والشجاعة ما أثار إعجابه[3].

كان غالب الناصري يرغب أن يصبح حاجب الدولة لما يبذله من جهود وإنتصارات عسكرية في حماية حدود بلاد الأندلس ، ولكن خاب أمله بتعيين جعفر المصحفي حاجبا ، فكتم هذا العداء للمصحفي إلى أن كاشفه مُحَّد بن أبي عامر بعداوته له أيضا ، ولهذا إتفقا على القضاء عليه وطرده من السلطة[4]، وقد تحقق لهم ذلك عندما اصدر الخليفة هشام المؤيد بالله أمرا بخلع جعفر المصحفي عن حكم مدينة قرطبة وأن يتولى أمرها مُحَّد بن أبي عامر فيكون حاكما لمدينة قرطبة ، وقد برز في هذا المنصب كما برز في الحملات العسكرية ، حيث شهدت قرطبة هدوء وإستقرار لم تعرفه خلال حكم جعفر المصحفي لها[5].

تفطن الحاجب جعفر المصحفي لخطة مُحَّد بن أبي عامر وغالب الناصري ، فأراد أن يوقف هذا التحالف فبادر إلى مصالحة القائد غالب الناصري وتوثيق العلاقة بينهم وذلك بخطبة أسماء بنت

---

(1) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمون وأثارهم في الأندلس، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1962، ص 328.

(2) مُحَّد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص528.

(3) إبراهيم بيضون، المرجع السابق ، ص 335.

(4) أنيس الصولي ، تاريخ الدولة الأموية في قرطبة ، المطبعة المصرية ، بغداد ، ج 1 ، ط1 ، 1936 ، ص 130.

(5) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 266.

غالب الناصري لإبنه عثمان وكادت هذه السياسة أن تؤتي ثمارها ، ولكن المنصور مُحَّد بن أبي عامر تنبه لذلك وحال دون تحقيق هذه المصاهرة ، حيث حرض من في قصر الخليفة على الطعن في هذه الخطبة ، كما ناشد القائد غالب الناصري أن يحفظ الولاء بينهما وان يزوجه إبنته أسماء ، وبالفعل تم فسخ هذه المصاهرة في حين وافق غالب على خطبة المنصور لإبنته أسماء ، وتم عقد الزواج في شهر محرم سنة 367هـ/ 977م[1].

أيقن الحاجب جعفر المصحفي أن مُحَّد بن أبي عامر يلاحقه لإبعاده من السلطة ، ولهذا لم يعترض عليه ، كما أن الناس انفضّوا من حوله وأقبلوا على المنصور ، وأصبح جعفر المصحفي يذهب إلى قصر الخلافة ويعود وحده دون حرس برفقته ، فلم يعد له من الحجابة سوي إسمها ، وفي يوم الإثنين الثالث عشر من شهر شعبان سنة 367هـ987م عزل الخليفة هشام المصحفي من الحجابة[2] ، وأمر مُحَّد بن أبي عامر بمحاسبة آل المصحفي ، فقبض مُحَّد بن أبي عامر على جعفر المصحفي وسجنه ، وأستولى على أموال أهل المصحفي وباع قصر جعفر المصحفي في الرصافة وكان من أعظم قصور قرطبة[3].

وقد كان جعفر المصحفي شاعرا فأخذ يستعطف مُحَّد بن أبي عامر بالشعر مثل قوله :

هِبْنِي أسَأْتُ فَأينَ العفوُ والكرمُ إذْ قَادَني نَحوكَ الإذعانُ والندمُ
يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ الأَيْدِي لهُ أمَا تَرْثِي لشيخٍ نعاهُ عندكَ القلمُ
بالغتَ في السخطِ فاصفحْ صفحَ مقتدرٍ إنَّ الملوكَ إذَا ما أسترحمُوا رحِمُوا[4]

(1) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص330.
(2) إبن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 60.
(3) إبن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسي بن عبدالملك، المغرب في حلى المغرب ، تح، شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، ج1، ط2 ، 1964م ، ص 200.
(4) عبدالعزيز فيلالي العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر، 1991، ص 222. / ابن الآبار ، المصدر السابق ، ج1 ،ص259 ، والمقري ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 385 ، أنظر أيضا ، ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 291.

غير أنه لم يلتفت إليه ، بل كان يأخذه في مواكبه مكبلا بالحديد مبالغة له في الإذلال ، ومات جعفر بن عثمان المصحفي في سجنه بالزهراء سنة 372هـ/ 982م وقد قيل أنه مات مسموما ، وقيل مات خنقا [1].

ب. غالب الناصري:

بعد تخلص مُحَمَّد بن أبي عامر من المصحفي وضع يده على جيش الحضرة وأضحى سيد الميدان وصاحب السلطة العليا دون منازع[2] وانفرد بشأنه في الدولة وجرى في ذلك مجرى المتغلبين على سلطات بني العباس بالمشرق حتى أورث ذلك عقبه، فأخذ ابن أبي عامر في تغيير سير الخلفاء المروانية في استجهار الأمر لنفسه، وسبك الدولة على قالبه ولما تكامل أمر المنصور وكثر حساده وأنداده، وظهر استبداده وسما إلى ماسمى إليه الملوك بإنشاء قصر ينزل فيه ويحل بأهله وذويه ويضم إليه رياسته وسياسته ويجمع فيه غلمانه وفتيانه فارتاد موضع المدينة المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة[3]، حيث جعلها مركزا مستقلا للإدارة والحكم فوضع أسسها سنة (368هـ-978 م) وقد اختلف في الموقع الذي كانت تحتله الزاهرة ، فيقول البعض أنها تحتل مكانا يقع جنوب شرقي قرطبة في منحني نهر الوادي الكبير وعلى قيد أميال قليلة منها [4].

انتقل إليها سنة (370هـ-980م) ونزلها بخاصته وعامته وشحنها بأسلحته وأمواله اتخذ فيها الدواوين والأعمال وأقطع ماحولها لوزارءه وقواده وحجابه، فإبتنوا بها الدور والقصور وتناهي فيها البناء

(1)ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 245.

(2) عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 537.

(3) حسين مؤنس ، موسوعة التاريخ في الأندلس ، مكتبة الثقافة الدينية،ط1، 1995، ص356 357.

(4) عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 335.

وكتب إلى الأقطار الأندلس والعدوة بان تحمل إلى مدينته تلك أموال الجبايات ويقصدها أصحاب الولايات وينتابها طلاب الحوائج[1].

وهكذا لم يبق أمام ابن أبي عامر من منافسيه سوى صهره غالب فرأى أن يتخلص من هذا الخصم الجديد الذي كان يقيم بعيدا عن العاصمة متحصنا في مدينة سالم الشديدة الولاء له، وسط جيش الثغور القوي ولأن قائد الثغور في ساحات القتال وسياسي حكيم لا يمكن إلا أن يحسب لمكانته وخبرته ألف حساب [2]، فغالب تظاهر في البداية بموافقة أبي عامر في سلوكه ودعاه في إحدى غزواته إلى وليمة فلما قدم المنصور على قلعة مدينة منيسة من الثغر انفرد به غالب وشرع في عتابه ثم كر عليه بسيفه فجرحه وكاد يجهز عليه لولا أن فر المنصور أمامه وهبط بفرسه من أعلى القلعة ونجا من الموت، ومنذ ذلك الحين أخذ المنصور يعمل على التخلص منه فرسم المنصور خطة لاحتواء نفوذ[3] صهره غالب تمثلت في الاستعانة بقائد عسكري يشار إليه بالبنان وهو جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي، وهو من أصل أندلسي [4]، واستوزر واستكثر من أجناد البربر وجعلهم بطانته وأدرك غالب مايرمي إليه ابن أبي عامر ثم استعان بعبد الرحمان بن مُحَمَّد بن هشام التيجيبي ضد جعفر بن حمدون الذي أعانه وقتله سنة (372هـ–982م)[5] ، ولما كان غالب يعرف كثرة جنود خصمه فرأى أن يتحالف مع بعض جيرانه من ملوك اسبانيا النصرانية يستقوي بهم على خصمه، الذين ما ترددوا في تأييده للتخلص من سطوة ابن أبي عامر التي طالما نالهم أذاها وفي هذه المعركة الفاصلة التي دارت بين جيوش ابن أبي عامر وجيوش الثغور بقيادة غالب بن عبد الرحمن بالقرب من حصن شنت بجنت في سنة (371-981م) كادت الدائرة تدور على ابن أبي عامر لما

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 272.

(2) عبد المجيد النعنعي ، تاريخ الدولة العامرية الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، ص355.

(3) عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 333.

(4) وديع أبو زيدون ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط الخلافة في قرطبة،هاني جمل، منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011 ، ص 271.

(5) عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 333.

أظهره خصمه غالب من شجاعة في القتال ، ولولا أن غالبا سقط فجأة من جواده ميتا دون أن يجرح أو يصاب مما أوقع الرعب في صفوف جيوشه فدارت الدائرة عليها [1] وقيل أنه مات بسكتة قلبية ، وبهذا تخلص العامري من ألد أعدائه، ما فتح له الطريق للإستبداد بالحكم وتقوية دولته الفتية[2] ، وما إن تخلص مُحَمَّد بن أبي عامر من صهره غالب حتى أعمل الحيلة لقتل جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي، فدعاه إلى وليمة في قصره وهو يضمر المكر والحيلة لقتله، وجعله يكثر من الشراب حتى فقد وعيه ولما انصرف في جوف الليل مع بعض أصحابه وغلمانه دس له من قتله في الطريق غيلة وهو بسكره عاجز عن المقاومة والدفاع عن نفسه وكان ذلك في سنة (372هـ – 983م) ومع أن المنصور تظاهر بالأسى عليه والحزن الشديد لفقدانه، إلا أن الناس في الأندلس عرفوا أية جريمة اقترفها سيدهم وأي نكران للجميل حل بالفارس المغدور [3]، والأشنع من ذلك أن المنصور ما لبث سنة (380هـ- 991م) أن دبر الاغتيال ابنه عبد الله ، الذي كان مقيما بسرقسطة عند عبد الرحمان بن مطرف متغير النفس على أبيه لاختياره عبد الملك أخيه وكان يرى أنه أشجع وأجهر وأرجل من أخيه عبد الملك وأن أباه ظلمه بذلك [4]، وهناك بعض المصادر أشارت التحالف عبد الله مع العدو غريسة بن فردلندا صاحب آلبة[5] وبهذا شكل مقتل القائد غالب الناصري وكل أولياء الخلافة المرشحين للرئاسة والمعارضين لحكمه، بروز النزعة الاستبدادية لمحمد بن أبي عامر إذ لم توقفه طموحاته من القضاء على أكابر رجال الدولة مستعملا كل الحيل للانفراد بالسلطة وتثبيت دعائم دولته واحتكار كامل السلطات السياسية والعسكرية [6].

---

(1) عبد المجيد النعنعي ، المرجع السابق، ص 436،437 .

(2) عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير الإسلامي ، د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ص505.

(3) عبد المجيد النعنعي ، المرجع السابق ، ص 438

(4) حسين مؤنس ، الموسوعة ، المرجع السابق، ص 360.

(5) ابن عذارى ، المصدر السابق، ج2، ص283.

(6) عبد المجيد النعنعي ، المرجع السابق ، ص 440.

ج. الحجر على الخليفة هشام المؤيد وتقليص صلاحيات السيدة صبح :

أخذ المنصور ابن أبي عامر يواصل مخططاته في الاستيلاء على مهام الدولة الأموية وبانتقاله إلى مدينة الزاهرة[1] التي بناها لتكون عاصمة الدولة العامرية، وذلك بالحجر على الخليفة هشام مؤيد بالله لصغر سنه فأشاع المنصور أن الخليفة هشام قد فوض إليه النظر في أمر الملك وتخلى له بالإشراف على شؤون الدولة وذلك ليتفرغ العبادة ربه [(2)].

وبهذا سلبه سلطانه وحقوقه ثم حجر عليه بطريقة قاسية شبه الموت المدني، وفي الفرص النادرة التي تسمح بخروجه كان يسير في موكبه وعليه برنس يخفي شخصه ومن حوله صفوف من الجند فلا يستطيع أحد أن يراه أو يقترب منه[(3)]، فتغلب على الخليفة وشدد الحراسة عليه وعلى بابه بترتيب الحراس والبوابين وأمرهم بملازمة الحراسة ليلا ونهارا ومراقبة تحركات من بداخل القصر سرا وجهرا حتى أصبح الخليفة مهجورا لاتراه الخواص ولا العوام [(4)]، حيث يصف ابن عذارى حالة هشام في قوله :"... وأقام هشام مهجور الفناء محجور الغناء، عليل الفكر مسدود الباب، محجوب الشخص عن الأحباب ... ولا يعهد منه إلا الاسم السلطاني في السكة والدعوة وطمس بهجته، وأغنى الناس عنه وأزال أطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وأمرهم أنهم لايذكرونه "[(5)].

ويصف أيضا ابن الأبار الحالة التي آل إليها هشام المؤيد بالله بقوله:" ليس له من الأمر غير الاسم خاصته، فما ظنك برجاله ومواليه الذين كان يرهب منهم وبهم يحترس " [(6)]، ومنذ سنة (371هـ-981م) لقب مُحَمَّد بن أبي عامر بالمنصور ودعي له على المنابر استيفاء لرسوم الملوك،

---

(1) الزاهرة، من بناء الناصر لدين الله، ابتدأ بناءها في محرم325هـ-935م شمال قرطبة فكانت في غاية الحسن الإتقان .

(2) عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 536.

(3) المرجع نفسه، ص537.

(4) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص225-

(5) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2، ص276.

(6) ابن الأبار ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 269.

فكانت الكتب تنفذ عنه من الحاجب المنصور أبي مُحَمَّد بن أبي عامر إلى فلان وأخذ الوزراء بتقبيل يده ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أميه فيساوي الخليفة[1].

وهكذا أصبح ابن أبي عامر سيد البلاد وأمر بالدعاء له على المنابر وجلس على سرير الملك ومحا رسوم الخلافة، ولم يبق للخليفة هشام المؤيد من هذه الرسوم الخلافية سوى الدعاء على المنابر وكتب اسمه في السكة والطرز [2]؛ كما قام المنصور بقتل من يخشى منه من أمراء البيت الأموي في الأندلس، وذلك خوفا من ثورتهم عليه حتى أفني من يصلح فيهم للخلافة وفرق من تبقى منهم في أقاليم الدولة[3]، وما قيل في سبب الحجر على هشام قول ابن الخطيب: "لما كان هشام مندرجا في طي كافله الحاجب المنصور بحيث لا ينسب إليه تدبير ولا يرجع إليه من الأمور قليل ولا كثير إذ كان في نفسه وأصل تركيبه ضعيفا مهينا مشغولا بالنزهات ولعب الصبيان والبنات وفي الكبر بمجالسة النساء ومواعدة الإماء ويحرص بزعمه على اكتساب البركات والآلات المنسوبات" [4]

يتبين لنا من هاته الرواية أن هشام كان معتوها لا يهتم إلا بمثل هذه الأشياء التي لا تليق بإنسان عاقل؛ فضلا عن كونه خليفة يرعى شؤون رعيته، وهنا يجب أن يكون الاهتمام موجه لابن أبي عامر الذي أثبت جدارته في الحكم وقيادة شؤون البلاد[5]، وهنا بدأت الحوادث تتطور وموقف صبح بدأ يتخذ وجهة أخرى، فقد أدركت صبح خطورته على مستقبل ولدها ومستقبل الأسرة الخلافية، فثارت نفسها سخطا وكانت صبح قد جاوزت الأربعين من عمرها، فأصبحت تبغض ذلك الرجل الذي سلب ولدها وسلبها كل نفوذ السلطة [6].

---

(1) أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق، ص237.

(2) عبد العزيز سالم ، المسلمين وأثارهم في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 334.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص280.

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق ، ص 58 ، 59.

(5) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 241.

(6) عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 538،537 .

منذ ذلك الحين أصبحت من ألد خصومه وأخطرهم، فقامت بجمع كل الناقمين والمعارضين بإسم حماية الخليفة الشرعي فلجأت إلى العمل المستتر وأخذت تبث في نفس ولدها هشام بغض ابن أبي عامر والسعي لمناوئته واسترداد السلطان منه وتولى مقاليد الحكم بنفسه وشهرت بواسطة أعوانها من الناقمين واتهمته بأنه سجن الخليفة ويحكم رغم إرادته ويغتصب السلطة منه فحاولت مقاومته [1] فلم يكن المنصور غافلا عما كان يجري في قصر هشام، وعما كان يخرج من مال لمحاربته فسارع إلى حسم الأمور بصورة جذرية وسريعة وانزل بالعاملين في القصر الخلافي ضربة موجعة ففرق معارضيه، ولم يدع في خدمة القصر إلا من استشعر له رهبة وهيبة ، وأذكى العيون من ذلك عليهم [2] حيث لما اتخذ المنصور ألقاب السيادة ، شعرت صبح بان الضربة القاضية أضحت على وشك الوقوع فضاعفت العمل بتحرير ابنها من قبضة المنصور [3] وبسبب ما بقي من احترام لمقام الخليفة ومحافظة على بعض الحرمات لم يشأ أن يضرب" صبح " مباشرة ولكن أراد أن يتسلح لمواجهتها بفتوى شرعية وبرأي صادر عن الجماعة فدعا جمعا من الفقهاء والعلماء ورجال الدين وأعلمهم بما في قصر هشام من ثروات وبأن الخليفة مشغول عن حفظها بانهماكه في العبادة، وان في تضييعها عن المسلمين وعلى الدولة أعظم الآفة [4]، فقام المنصور برفع يدها عن الأموال التي أخذت تتفنن في تهريبها بواسطة فتيان فتيان القصر وكان المنصور مريضا، فبعث ولده عبد الملك ومعه جمهرة من الفقهاء والوزراء فوافق على نقل المال فنقل ولم يبق منه في خزائن القصر شيء ولم تجد توسلات صبح ولا وعيدها وتطاولها ويقال أن ماحمله المنصور يومئذ من المال بلغ عدة ملايين [5] ويقول ابن بسام: "... أخرج ولد المنصور

(1)عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 538.
(2) ابن بسام ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 71.
(3) عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 555.
(4) إبراهيم بيضون ، المرجع السابق ، ص 317.
(5) عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 556.

(عبد الملك الذي وجد معارضة شرسة من صبح عبرت فيها عما صار في صدرها من كره المنصور وحقدها عليه، خمسة ملايين من الدراهم القاسمية، وسبعامئة ألف جعفرية من الذهب " [1].

لما شفي المنصور من مرضه سار إلى قصر قرطبة مع ابنه عبد الملك وسائر عظماء الدولة وانفرد بالخليفة فاعترف له هشام بالفضل والى جانبه ولده عبد الملك وسار الجيش أمام الموكب وشق هذا الموكب شوارع قرطبة وكان يوما عظيما مشهودا وكان أية الظفر المنصور وسياسته [2]. وهكذا فشلت صبح في محاولاتها ولم يسفر ذلك الصراع إلا عن توطيد سلطان المنصور، حيث لم تكن أهلا لمقاومة هذا الرجل ولما عرفت انه لا منقذ لولدها لجأت إلى السكينة والعزلة فلم يسمع عنها بعد ذلك في سير الحوادث ولا يعرف تاريخ وفاتها وبهذا قضى على نفوذ صبح نهائيا ولم يسمع إلا أنها ماتت في حياة ابنها هشام، ويبدوا أنها توفيت قبل وفاة المنصور ابن أبي عامر سنة (390هـ-1000م) حيث أننا لم نجد لها دورا في تاريخ الأندلس بعد وفاته[3]. ويبدوا أن هذا التحرك المعارض الهيمنة المنصور هو آخر صدمة تلقاها نظامه، فصمد إليها واثبت قوته ومقدرته على المقاومة مما جعل هذا الرجل يعيش السنوات القليلة التي بقيت له من حياته مطمئنا إلا أن ابنه المظفر عبد الملك سيخلفه في سلطانه دون أية معارضة [4].

ولقد لخص بعض المؤرخين السياسة العامرية تلخيصا رائعا ومن بينهم بن الخطيب بقوله: " كان المنصور آية من آيات الله في الدهاء والمكر والسياسة عدا بالمصاحفة أي أعوان الحاجب المصحفي وعلى الصقالبة حتى قتلهم ثم غدا بغالب على المصاحفة حتى قتله، تم غدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه ثم غدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه ثم انفرد بنفسه ينادي

(1) ابن بسام ، المصدر السابق، ج 1، ص 63.

(2) عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 556.

(3)عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 557.

(4) مُحَمَّد عبد الفتاح شرق الدين ، تاريخ السيادة الإسلامية على الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ، د. ط ، مكتبة الآداب، د.م ،1990،ص166.

ظروف الدهر هل من مبارز ؟ فلما لم يجده ، حل الدهر على حكمه فانقاد له وستعد واستقام له أمره منفردا بسابقه لايشاركه فيها غيره [1].

4. توليه منصب الحجابة وتحقيق الغاية :

كان أهم ما يميز الحكم في الأندلس هو ان منصب الحاجب كان يختلف اختلافا كبيرا عن نظيره في الدولة الاموية بالشام ففي المشرق كان الحاجب هو الذي يحجب الخليفة عن العامة ، ويغلق الباب دونهم أو يفتحه أما في الأندلس فقد كان الحاجب واسطة بين الأمير أو الخليفة وبين الوزراء ومن دونهم، وأما في الدولة الأموية في الأندلس فكانت الحجابة لما يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم.

وهكذا يمكن القول أن الحاجب في الأندلس هو الذي يرأس الوزراء فقد كانوا يجتمعون برئاسته في مجلس خاص وهو ما يشبه في عصرنا الحاضر بمجلس الوزراء ، والحاجب كان يقوم بدور الخليفة نيابة عنه ، وكان يقابله كل يوم ليعرض عليه شؤون البلاد ويتلقى منه الأوامر وبهذا أصبح الحاجب الشخصية الأولى في الدولة بعد الخليفة ولذا كان يختار من أعرق الناس وقد كان الأمير عبد الرحمان الداخل هو أول من أنشأ منصب الحاجب في الأندلس[2].

سار مُحَمَّد بن أبي عامر إلى غايته بسرعة مدهشة واستطاع بعزمه ودهاءه القضاء على خصومه والتخلص من منافسيه لم يعد للمنصور من يخشاه في البلاد وأصبح الأقوى والحاكم المطلق في دولة الأندلس الأموية التي أخذت منذ ذلك الوقت تخلع ثوبها الأموي، باستثناء لقب الخلافة الذي كان يتلى في خطبة الجمعة وأمر أن يُحيا بتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور وأمر بالدعاء له على المنابر ، وكتب إسمه في السكة والطرز[3].

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، المصدر السابق ، ص 77.

(2) علي أحمد عبد الله القحطاني ، الدولة العامرية في الأندلس، مذكرة ماجستير ، ص 231.

(3) ابن العذارى ، المصدر السابق ، ص 263.

وعرف بالحاجب المنصور وأمر بترديده على منابر عقب الدعاء للخليفة ، وأمر أن تخضع للقاءات والمقابلات إلى قواعد صارمة منها تقبيل يده ومناداته ب "مولاي" وهي أولى خطواته في اتخاذ ألقاب الملك بصفة رسمية . فكانت الكتب تنفذ باسمه "من الحاجب المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر إلى فلان" ابتداءًا من سنة 371هـ / 971م [1]. وأخذ الوزراء في تقبيل يده ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أمية ، فساوى ابن ابي عامر الخليفة في هذه المراتب ولم يجعل فرقا بينه وبين الخليفة إلا في الاسم وحده في تصدير الكتب عنه حتى تنامت حاله في الجلالة وبلغ غاية العزّ والقدرة[2].

أما الخليفة هشام المؤيد بالله فقيل عنه: " مندرجًا في كنف كافنه الحاجب المنصور بحيث لاينسب إليه تدبير ولا يرجع إليه من الامور قليلا ولا كثيرا، إذ كان في نفسه وأصل تركيبه ضعيفا مهينا مشغولا بالنزهات ولعب الصبيان والبنات في الصغر وفي الكبر بمجالسة النساء ومحادثة الإماء "[3]. وهذا بيان كيف وجد مُحَمَّد بن أبي عامر الفرصة لتحقيق أهدافه.

وقد كان الحاجب يخضع مباشرة للخليفة الذي له الحق في تعيينه واقالته وبالتالي لم يكن الحاجب يمتلك سلطة تعيين وزراء، أو إقالتهم من مناصبهم بل الخليفة وحده هو من يختص بذلك ، ويمكن القول أن سلطة الحاجب اتسعت عندما تولى جعفر بن عثمان المصحفي الحجابة. ولما أخذ المنصور بن أبي عامر يعمل على الاستبداد بالسلطة دون الخليفة هشام الذي حجبه عن الخاصة والعامة ومنع الرعية من الاتصال به أخذ يعين في مناصب الدولة أنصاره ومن يثق بهم بعد أن عزل أنصار الخليفة المستنصر من مناصبهم[4].

(1) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص 181.

(2)ابن العذارى ، المصدر السابق ، ص 272.

(3) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 58.

(4) ابن العذارى ، المصدر السابق ، ص268 269 .

وبهذا أصبح يمارس جميع سلطات الخليفة بدلا عنه ، ومن خلال حجز الحاجب المنصور على الخليفة هشام المؤيد بالله واستبداده بكافة شؤون الدولة لم يبق لهشام سوى الخطبة له فوق المنابر والسكة التي ظلت تضرب بإسمه ويظهر إلى الناس أن الأمور تصدر عن اذن الخليفة[1].

وهكذا وفي مدّة قصيرة استطاع محد بن أبي عامر أن يصل الى أرفع وظائف الدولة في القصر، وكان يعتبر حلقة وصل بين الخليفة الأموي ووزرائه، وقوي أمره ، ونفذت كلمته في القصر.[2]

نستخلص مما سبق أنه بعد موت الحكم المستنصر حدث فراغ سياسي في بيت الخلافة فاستغل المنصور هذه الفرصة وذلك من خلال المساهمة في تنصيب هشام بن الحكم للخلافة، فسارع للتخلص من الصقالبة والشخصيات البارزة في الدولة وذلك بضرب بعضهم ببعض ، ومن دهائه وحسن تدبيره استطاع ان يبلغ أعلى المناصب وهي منصب الحجابة.

(1) ابن العذارى ، المصدر السابق ، ص 269 .

(2) حسين مؤنس ، موسوعة التاريخ في الأندلس، ص 42.

الفصل الثاني:

تجهيز الجيش وتنظيم القوات المسلحة على عهد العامريين

1. تكوين جيش نظامي خاضع للمنصور.
2. المواد العسكرية.
3. البنية التكوينية للجيش العامري.

إتسمت حقبةُ حُكم الحاجب المنصور مُحَمَّد بن ابي عامر بالنشاط الحربي المتميز بكثرة الحملات الحربية التي تكللت بالنصر ، ووصلت الأندلس إلى ذروة قوتها العسكرية من حيث العدة والتسليح والتطور والتنظيم وإعداد المتطوعين في الجيش الأندلسي ،بذل الحاجب المنصور جهودا كبيرة في إصلاح الجيش الأندلسي وتنظيمه لتنفيذ خطته الحربية في التوسع ورَد العدوان وإبراز شخصيته وطموحاته كرجل حرب قادر على تحدي المصاعب والازمات التي تواجه بلد الأندلس وقهر الممالك الإسبانية، ومن اجل كل ذلك أدخل إصلاحات وتنظيمات جديدة في الجيش تمثلت في :

1. تكوين جيش نظامي خاضع للمنصور:

كان أول اهتمامات المنصور، قضية بناء جيش قوي متماسك يتناسب قوتاً وعدداً مع ما كان يجول في خاطره، ومع ما كان يريده لدولة الإسلام في الأندلس من رفعة ولقد خطط لإعادة بناء الجيش على أسُس جديدة ترتكز لتجارب الماضي بسلبياتها وإيجابياتها ، فهو ما كان يريد الاستكانة إلى النظام التقليدي الذي كان يعتمد عليه زعماء من العرب والبربر يقيمون في المناطق وسط مزارع كبيرة يستثمرونها بما يشبه ما كان سائدة آنذاك في البلدان الأوروبية المجاورة من نظم إقطاعية[1]، فكان هؤلاء يأتون مع أتباعهم كلما دعاهم الأمير للقتال ينظمون بمجموعاتهم إلى جيش الدولة فيقاتلون تحت لوائه ثم يعودون بعد انتهاء الحرب، بما حصلوا عليه من غنائم وهبات وعطايا إلى مزارعهم، ومع الوقت تحول كثير من رؤساء القبائل من عرب أو بربر إلى مراكز قوى عسكرية وأحيانا سياسية، كثيراً ما كانت سببا في نشوب ثورات وحركات تمرد، بل أن هذه المراكز كثيرا ما قادت إلى ظهور نزعات استقلالية وانفصالية كادت في أكثر من مرة تذهب بوحدة البلاد ، وأيضا ما كان المنصور يريد العودة إلى الاعتماد على طبقة الجند الصقالبة التي قويت شوكتها زمن الحكم المستنصر والتي كادت تصبح دولة في قلب الدولة[2].

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص102

(2) ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص 200.

أراد المنصور أن يبني جيشا واحداً متماسكاً يتألف من عناصر تتلقى مرتباتها و رزقها من خزانة الدولة وحدها، مما كان يجعل في نظره ولاءها أولا وأخيرا لهذه الدولة، وكان في الواقع يريد جيشاً يكون موالياً له وحده من منطق كونه كان يعتبر الولاء لذاته ولاء للدولة، لذلك كان يتعمد اختيار هؤلاء الجند من بربر العدوة[1]، الغرباء عن الأندلس فيأتي بهم مباشرة إلى جيشه وبذلك يضمن غربتهم عن عادات الأندلس وعما فيها من خلافات عنصرية وحساسيات قبلية، ليكون ولاءهم دوما لمن جاء بهم ولمن كان يدفع مرتباتهم وقد توصل المنصور بما وضعه لجيشه الجديد من نظم صارمة وبما أخضع عناصره له من تدريب، وبما خصه به من أموال ووسائط نقل لكي يعطي دولة الإسلام في الأندلس أفضل وأقوى جيش عرفته في تاريخها الطويل، إذ هو الذي رافق المنصور في غزواته[2].

ويبدوا أن جيش المنصور بلغ عند اكتمال تنظيمه اثنا عشر ألف فارس جميعهم مرتزقون في الديوان في أيام السلم، وفي الظروف العادية، أما في مواسم الصيف والشتاء فكان العدد يصل في بعض الغزوات إلى ست وأربعين فارس، يضاف إلى ذلك ستمائة من الحرس الخاص يرافقون المنصور في حروبه ويتولون حمل العدة وتأمين خدمة الجنود، وتلتحق بهؤلاء فئة الرجالة الذين بلغ عددهم ستة وعشرون ألفا. وكان الجند الدائمون من جيش المنصور يتوزعون بين العاصمة والحواضر الكبرى لضمان استقرارها وأمنها وسلامتها[3].

وكانت هناك ورشات تعمل بصورة دائمة في السلم كما كان في الحرب الإمداد هذا الجيش بكل ما يلزمه من العتاد، فكانت دار التراسين تصنع سنوية للجيش العامري ثلاثة عشر ألف ترس واثني عشر ألف قوس، ومن النبال عشرين ألفا، وأيضا كان يصنع للجند كل عام من الأخبية على أنواعها ثلاثة آلاف خباء[4]

---

(1) العدوة ، المغرب إفريقيا

(2) ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج 1 ، ص99

(3) ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 397

(4) ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 397

ومن سياسته ودهاءه انه اعلن في سنة 388هـ\998م عن اعفاء الناس عن الاشتراك الالزامي في الصوائف وعرفهم بان من تطوع خيرا ، فهو خير ، ومن خف اليه ، فمبرور وماجور ، ومن تثاقل فمعذور فتمت على الناس النعمة [1] . أن استعمال كلمة و الناس ، في النص ، وعدم ذكر اهل قرطبة ، يشير الى أن الإعفاء شمل هذه المرة كل أهل الاندلس ، ولم يكن خاصة بالعاصمة وحدها ، كما كان الامر في عهد الامير مُحَمَّد بن عبد الرحمان. وبطبيعة الحال ، فان هذا الاجراء الذي قام به المنصور يتعلق بالاصلاح العسكري الذي حاول أن يدخله على الجيش الأندلسي . حيث انه أعاد تنظيم الجيش تنظياً عسكرياً جديداً ، وذلك بجعله وحدتاً متكاملة متماسكة لا يقوم على العنصرية والقبائل فألغي النظام الإقطاعي العسكري ، وجعل الجيش يتألف من فرق عسكرية متعددة تضم مختلف فئات المجتمع الأندلسي كالعرب والبربر و الصقالبة ويتقاضى كل جندي في هذه الفرف راتب شهرياً بدلا من استغلاله لاقطاع الأرض السابق. وقد استطاع المنصور ان يسيطر على هذا الجيش ويستغني به عن حشود المستنفرين ، كما احرز به انتصاراته العسكرية المعروفة ضد الممالك الاسبانية [2].

والواقع أنه نجح في ضبط عملية الجباية والإشراف على الإنفاق بحيث كانت خزانته تفيض سنويا بمبالغ ضخمة من المال[3].

ولعل ما ساعد المنصور على النجاح في جعل خزينة الدولة في أيامه عامرة دائما وتتغذى من فوائض مستمرة من المداخيل، إصراره الدائم على مراقبة كل أعمال الدولة وفهمه لعمليات الجباية والإنفاق ، حيث تسلم منذ البداية أهم المناصب في الدولة الأندلسية ، وكان أمينا لدار السكة، وأيضا مشرفًا على الخزينة العامة، وحين صارت إليه الوزارة والحجابة كان على إلمام تام بأموال المال والضرائب، وبقي حتى نهاية حياته على اتصال وثيق بهذا القطاع الهام [4]، وكما يمكن القول أن السياسة العنيفة والجريئة التي انتهجها الحاجب ابن أبي عامر كان يعتمد في

---

(1) ابن الخطيب ,مصدر سابق ,ص68

(2) عبد الواحد ذنون طه ,تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في العصر الاموي ,كلية الادب ,جامعة الموصل ,ص13.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، المصدر السابق، ص98 .

(4) ابن عذارى المصدر السابق ، ج 2 ، ص 398 .

تطبيقها على أيدي قوية من الرجال الشجعان المغاربة، فهناك من يشير أن المنصور اتجه بأنصاره إلى البلاد المغربية واستخدم كثيرا من أبناءها وأصبحوا هم الدعامة الأولى في بناء دولته ونصرته، وإن معظم أفراد الجيش من قبائل زناتة ومكناسة وصنهاجة وغيرهم وقد ساعد أبي عامر وشجعه على استخدام هؤلاء المغاربة في قواته لمعرفته بطباعهم[1].

أطلق المنصور على هذا الجيش الجديد اسم هو الحضرة [2]، وبهذا أصبح الجيش الأندلسي أو العامري في هذه الفترة مقسم إلى قسمين:

قسم يديره المنصور بنفسه وهو جيش الحضرة والقسم الثاني يدير أمره القائد الغالب صاحب مدينة سالم ويسمى جيش الثغرة[3].

وكان لجيش المنصور في كل غزوة من غزواته المنيفة على الخمسين مفخر من المفاخر الإسلامية فمنها أن بعض الاجناد نسى رايته مركوزة على جبل مقرب إحدى مدن الروم فأقامت مدة لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر وهذا بلا خفاء مما يفخر به أهل التوحيد على أهل التثليث ، لأنهم لما أشرب قلوبهم خوف شرذمة المنصور وحزبه وعلم كل من ملوكهم أن لا طاقة له بحربه لجئوا إلى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم إلا الإشراف من بعد. وكان المنصور بن أبي عامر يزرع ألف مدى من الشعير لدوابه الخاصة به وإنه كان إذا قدم من غزوة من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش، وصاحب البناء لما وهي من أسواره ودوره ومبانيه ذلك لأن الخيل حصون الغارة والمباني حصون الدفاع.[4]

---

(1) عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 226

(2) هو جند العاصمة يخضعون لرئاسة المنصور ، عبد العزيز فيلالي، ص226.

(3) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 228

(4) ابن عذاري ,مصدر سابق ص 291 / عبد السلام أحمد الرفاعي ، الحاجب المنصور ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط1 ، 1354هـ 1937م ، ص 73.

2. المواد العسكرية:

للصناعة دور كبير في ازدهار الحياة الاقتصادية في الاندلس طيلة عصورها الاسلامية خاصة المزدهرة في ضل حكم ابن أبي عامر ،ويقصد بالصناعة تصنيع مواد خام معدنية أو زراعية أو حيوانية ،وكان من الضروري وجود الايادي العاملة المحترفة لتتميز من غيرها من الصناعات ،وتوفرت في الاندلس بكميات كبيرة كمعدن الزئبق والحديد والرصاص والذهب والفضة والكبريت الاحمر والأصفر والكحل[1] ،وكان الأندلسيون في ذلك الوقت بارعين في صناعة الات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع [2].

وقد استخدم الجيش الاندلسي انواع عديدة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة الدفاعية والهجومية. وكانت الأسلحة التقليدية المعروفة في ذلك الوقت كالسيوف والرماح والقسي والسهام، هي الاسلحة الخفيفة الهجومية التي يعتمد عليها لتزويد افراد الجيش . أما الأسلحة الدفاعية الخفيفة، فكانت تتكون عادة من الترس، وهو صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل باليد لتلقي ضربة السيف ، والدرق، وهو نوع من الترس، ويتخذ من الجلود. والبيضة أي الخونة التي تصنع من الحديد عادة لحماية الرأس ، والمغفر وهو زرد بنسج من الدروع على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة ، وقبل الخوذة ، والدرع، الذي هو ثوب بنسج من زرد الحديد ، اي هو لبوس من الحديدها[3] .

أما الاسلحة الهجومية والدفاعية الثقيلة ،فهما المنجنيق ، كانت أداة فعالة في حسم حروب الحصار ، ومهاجمة المدن . وقد استعملت آلة اخرى تشبه المنجنيق ، لكنها، تسمى بالعرادة، وقد أتاح صغر حجمها للمقاتلين أن يستعملوها في اماكن اخرى لا يمكن وضع المنجنيق فيها ، فكانت العرادات تنصب في الابراج فوق الاسوار للدفاع عن المدن فهي وسيلة دفاعية بالدرجة الاولى[4] .

---

(1) ابن حوقل أبي القاسم مُحَمَّد بن علي النصيبي، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، ص 109.
(2) المقري المصدر السابق، ج1، ص 202.
(3) عبد الواحد ذنون طه ,مرجع سابق,ص61
(4) نفسه , ص77.

وازدهرت صناعة الأسلحة كثيرا في عهد الحاجب المنصور مُحَمَّد ابن أبي عامر، حيث ذكر ابن الخطيب في رواية أن "دار التراسين" كانت تنتج من أصناف التراس في كل سنة ثلاثة عشر ألف ترس، ومن أصناف القسي إثني عشر ألف قوس، منها ستة آلاف قوس عربية تنتج في دار التراسين بقرطبة ، و كان القائم على صناعتها رجل يدعى أبا العباس البغدادي، ويلقب "بالمعلم الأكبر .وستة آلاف قوس تركية أي تصنع على نمط القوس التركي تنتج في دار التراسين بمدينة الزهراء، و كان يتولى الإشراف على صناعتها رجل صقلبي يدعى "طلحة الصقلبي"، و كانت تنتج من أصناف النبال في كل شهر عشرين ألفا[1].

واشتهرت مدينة سالم (Medinaceli) بإنتاج المجانيق والتراس والسهام وغير ذلك من العدد والآلات الحربية وقد زودت هذه المدينة الحاجب المنصور بستة مجانيق ، ومائتي ألف سهم وخمسة آلافي ترس سلطاني، ومائتي زوج من أزواج المطاحن وآلات الحديد، وذلك حين خرج إلى قشتالة (Castilla) في صائفة سنة (392هـ/1001م)[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض أنواع الأسلحة وأدوات القتال التي اصطحبها معه الحاجب المنصور في هذه الصائفة ، فقد كان من جملتها: ستمائة ترس عامري، وألف ترس سلطاني، والفي حربة إفرنجية ، و الفي وضم للجم، إضافة إلى الزيت والنفط والقطران ، وآلات المنجنيق، وتوابيت النبال، والأخبية، وهذه الأخيرة كان يصنع منها في كل سنة ثلاثة آلاف خباء كعدة للجند[3].

ويضاف إلى ذلك الكثير من الأسلحة المحفوظة في "خزائن السلاح"، والمعدة للتوزيع على رجالة قرطبة وغيرهم من حشود المتطوعين أيام البروز والاحتفالات. فقد كان في مدينة الزاهرة (Azzahira) وحدها أربعون ألف ترس، ومن أبدان الدروع سبعة آلاف درع، ومن أصناف الدروع السوابغ و الغلائل السابرية خمسة آلاف درع، ومن الجواشن سبعمائة قطعة[4].

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 101؛ \ذنون طه، تنظيمات الجيش، ص 22.

(2) نفسه ، ص 23.

(3) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ص 100 – 101.

(4) ابن الخطيب ، مصدر سابق ,ص 102.\ ذنون طه ، تنظيمات الجيش، ص22 – 23.

وكان المظفر عبد الملك بن المنصور، قد عهد في غزوته التي فتح فيها حصن منغص من ثغر برجلونة إلى الخزان بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة وخمسة آلاف مغفر على طبقات الأجناد الذراعين "[1].

ومن بين أهم صناعات الأسلحة التي اهتم المنصور بصناعتها نذكر منها :

أ . السيوف:

كان العرب يَعدون السيوف أشرف الأسلحة، وسيف ينسب إلى المواضع الذي طبع فيه ، فيقال فيما طبع بالهند : هندي ومهند ، وفيما طبع بالمشارف ، وهي قرى من القرى العرب القريبة من ريف العراق ، مشرفي ، والسيف إن كان من حديد ذكر وهو المعبر عنه بالفولاذ قيل " سيف فولاذ " ، وان كان من حديد أنثى وهو المعبر عنه بالحديد ، قيل " سيف أنيث " ، فإن كان من معدن المسمى " بقستاس " ، وهو معدن موصوف بجودة الحديد قيل له :" قُساسي".[2]

ومن أشهر السيوف اليمانية والسليملنية والهندية والخرسانية والشامية وتعرف كلها بالسيوف العتيقة ، وكان لكل منها شكل مخصوص أو علامة يمتاز بها فاليمانية مثلاً التي صنعت في الجاهلية ، كانت تمتاز بثقبين في سنبل السيلان والسيلان أصل مقبض السيف [3]،

غير أن صناعة هذه السيوف أكثر قطعها في اللين ، فإذا صادفت الحديد أو اليابس تقصفت ، وكانت سيوف الروم أمتن منها لأنهم كانو يجيدون سقايتها حتى تبري الحديد ، ولذلك كان العرب إذا أصابوا سيفا تناقلوا خبره واطروه ، وقد اشتهر في أوائل الإسلام سيف ذو الفقار لعلي بن أبي طالب ، وسيف الصمصامة لعمرو بن معد كرب ، وكان لذي الفقار شأن كبير في تاريخ الإسلام توارثه آل أبي طالب ثم أخذه المهدي العباسي ، ثم صار الى الهادي فالرشيد ، ويقال إنه سمي ذو الفقار لأنه كان به ثمانية عشر فقرة [4].

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص87.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية – القاهرة – 1917، ج2، ص133.

(3) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 ،ج1،ص194 .

(4) نفسه ، ص194 – 195.

وقد تجلت روح الإبداع العربية في صناعة الأسلحة ، وكانت الموصل ودمشق من أهم مراكز التكفيت [1].

ب .الدروع :

الدروع وهو الجبة التي يلبسها المقاتل للوقاية من السيوف والسهام[2].

والدروع كثيرة عند العرب، ومنها الحديد والفولاذ والكتان، ويسمون درع الكتان "دلاص" ولم يكن يقتني الدروع غالبًا إلا الفرسان، وهي من صنع الروم أو الفرس على الغالب. وعندهم أدراع مشهورة بأسماء معينة مثل درع خالد بن جعفر، فقد كانوا يسمونها ذات الأزمة لأنها كانت لها عرى تعلق بها إذا أراد لابسها أن يشمرها[3] .

ومن الدروع الرداء، المتخذ من الزرد المنسوج، وقوامه حلقات متصلة من الحديد تغطي الظهر والصدر، ومنها الدروع الفرعونية والحطمية (نسبة لحطوم رجل من قيس) والسلوقية (نسبة لسلوق ، من قرى اليمن)[4].

وكانت الدروع مؤلفة من الجزء الذي يقي الصدر وهو الجوش، والبيضة والخوذة والمغفر للرأس، ومنها أجزاء للمساعدين والسامتين والكفين[5].

ج . الرماح :

والرمح، آلة الطعن، وهو نوعان: أحدهما متخذ من القنا، وهو قصب مسدود الداخل ينبت في بلاد الهند، يقال للواحدة منه: قناة، والثاني ما يتخذ من الخشب كالزان و نحوه، ويسمى الذابل، ويقال للحديد في أعلى الرمح: السنان، والذي في أسفله الزُج والعقب، ويوصف الرمح بالأسمرة، لأن لون القنا السمرة و بالعسال، وهو الذي يضطرب في هزه، وبالدن

(1) التكفيت، كما أورد غوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب " أن لهذه الصناعة عند الشرقيين عدة طرق.
(2) القلقشندي ، المصدر السابق ,ص135.
(3) جرجى زيدان، سابق، ص 196.
(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص135.
(5) جرجي زيدان، نفسه، ص 197.

وهو اللين، وبالسمهري نسبة إلى بلدة يقال لها سمهرة من بلاد الحبشة، وقيل السمهرة، وهي الصلابة[1].

وأكثر ما يكون في استخدام الرمح على الخيل، ويستعمل المسلمون كلمة " أزج الرمح، أي جعل له زجا، والزج في الحديد في أسفل الرمح، والرماح كانت تلازم أيديهم، فيقولون كانت سادسة الأنامل الخمس، أي سددت أناملهم، فهم على استعداد دائم للطعن والرمي[2]، وكانت آسنة الرماح عندهم تختلف شكلاً بين المشعب والمعوج والمستوى والمموج، وغير ذلك[3].

د . المنجنيق :

وكان من جملة آلات الحصار التي اقتبسها العرب من الأعاجم المنجنيق وهي آلة لرمي الحجارة[4]، والمنجنيق اسم أعجمي، استخدمها الفينيقيون، وانتشرت بواسطة اليونانيين في سائر دول الأرض وقد استخدمها الفرس وعنهم أخذها العرب بعد الإسلام ، والمعروف ان العرب لم يستخدموا هذه الآلة الا في أواسط القرن الأول للهجرة بعد مخالطتهم الروم والفرس[5].

أول من أتخذه من العرب جذيمة الأبرش ملك الحيرة على العرب[6]. وورد في كتاب ابن الأثير[7]: "أن عبد الرحمن سار سنة ستين ومائة إلى سد قسطا فحصرها وضايقها ونصب عليها المناجنيق وعددها ستة وثلاثون منجنيق فملكها عنوة .."، وذكر أيضا:" .. ولما دخل عمرو بن العاص مصر، قال له رجل: لو حصلت المنجنيق ورميتهم به لهدم حائطهم، وكان ذلك في فتح الإسكندرية، وتم له النصر".

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص133- 134.
(2) نفسه ، ص132.
(3) جرجى زيدان، مرجع سابق، ص 195.
(4) المقريزي تقي الدين أحمد بن علي عبد القادر، المواعظ والاعتبار،القاهرة، ج1، 1913م، ص467.
(5) جرجى زيدان، نفسه، ص 198.
(6) القلقشندي، مصدر نفسه، ص137.
(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص 66 – 63.

والمنجانيق أصناف كثيرة منها الكبير والصغير، ومنها ما يشد بلوالب وأقواس، وهي تستخدم إما لرمي السهام أو الحجارة أو قدر النفط، فكانوا يرسلون بالمنجنيق نفطاً مولعاً بالنار ويقذفونه بواسطة كفة من الزرد يجعلون بها الأوعية المملوءة بالنفط كالقدر، أو يرسلوها بمنجنيق رمي الحجارة [1].

ه . القوس :

كان للعرب مهارة عظمى بالقوس لحدة أبصارهم من سكن البادية، ولأنهم كانوا أحوج إليها من سائر الأسلحة؛ فقد كانوا يستخدموها في صيد الغزلان، والحروب والطعان، وقد سموا مهرة الرمي "رماة الحدق " بسبب مهارتهم في النزع بالقوس، وكان قواد المسلمين يحرضون رجالهم على إتقان رمي النبال بالقوس[2].

والقوس، وهي مؤنثة، والقسي على ضربين، أحدهما: العربية، وهي التي من خشب فقط، ثم إن كانت من عود واحد، قيل لها قضيب، وإن كانت من فلقتين قيل لها فلق، والثاني الفارسية، وهي التي تركب من أجزاء من الخشب والغراء، ولأجزائها أسماء يخص كل جزء منها اسم[3].

وفي العصور الإسلامية والقرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، استمر المسلمون باستعمال الأقواس وطوروها، واصطنعوا منها ألات مركبة، ولعلهم أخذوا بعضها عن الفرس كالمجراة التي استنبطها العجم لما حاربوا التتر.

و . الترس :

الترس وهو الآلة التي يتقي بها الضرب والرمي عن الوجه، وتسمى الجُنة، آخذًا من الإجتنان، وهو الإختفاء، وتارة تكون من الخشب، وتارة من الحديد، فإن كانت من الجلد قيل لها دَرقة أو المجن[4].

---

(1) جرجى زيدان، مرجع سابق، ص 198.

(2) نفسه، ص 193.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص134.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى ، ص136.

وكان الترس عند العرب على أصناف كل منها يصلح لشيء، منها المسطح والمستطيل المحفر الوسط والمقبب الأطراف، ولكل ترس فائدة، فالمقبب المنحني الأطراف لا يتقي به الرمح، لأنه متى طعن به ثبت الرمح فيه، وإنما يتقي به النشاب والحجارة، والمستطيل يتقي به النشاب لأن رأسه يستر رأس الفارس، وطوله يقيه، والمسطح يتقي به الرمح[1].

وقد تفنن المسلمون العرب في اصطناع الأتراس وطوروها، ونقشوا عليها الآيات القرآنية و الأشعار، وعرفت بأسماء المدن التي كانت تصنعها، فمنها الدمشقي، والعراقي، والغرناطي وغيرها[2].

ز . الحربة :

وكان النجاشي قد أهدى الزبير بن عوام حربة، وأهداها الزبير بدوره للرسول (ﷺ).

وكان الخلفاء العباسيون يتبارون بالحربة و يستخدمونها، وكان الخليفة المتوكل يحوز على حربة النبي (صلى الله عليه و سلم) التي كانت تسمى العنزة، وكان يركزها بين يديه في الغناء ويصلي وهي أمامه[3].

كل هذه الأسلحة وغيرها، عرفها العرب منذ أقدم العهود، وفي القرن الرابع الهجري تقدمت صناعة هذه الآلات كثيرا وتطورت، وبرع العرب في تزيينها وصناعتها بأشكال مختلفة وعديدة، وزينوها بالنقوش والرسومات، والتي تدل على مهارة الصناع العرب ومدى التطور الذي أدخلوه على هذه الصناعة.

ح . صناعة السفن:

كان الأمير عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس أول من اتخذ قوة بحرية لمواجهة الأخطار المحدقة بالأندلس من الخارج، لا سيما خطر العباسيين، وأهل جزر البليار (منورقة ، ميورقة، يابسة)، والفرنجة، ولذا أمر بإنشاء دور الصناعة [1] في مراسي

(1) جرجي زيدان، مرجع سابق، ص 196.

(2) نفسه، 196

(3) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، ج4، 1964م، ص 318.

طركونة (Tarragone). وطرطوشة (Tortosa). وقرطاجنة (Cartagena)، والمرية (Almeria). وإشبيلية، لبناء المراكب والسفن الحربية ، من أجل تدعيم البحرية الأندلسية[2]. وبالتدريج نمت هذه الصناعة وتطورت في الأندلس ، بفضل وفرة المواد الأولية اللازمة لها كالخشب والحديد والنحاس والألياف النباتية والزفت والقطران والكبريت والكتان في مناطق الأندلس المختلفة [3] وعمل الحكم المستنصر (366_350هـ\961_976م) منذ توليه الخلافة على تدعيم البحرية الأندلسية لمواجهة الغزو النورماني المتكرر على سواحل الأندلس، ففي سنة (351هـ/962م) حاصر المجوس حصن القبطة من حصون المرية ، فمني النورمان بالهزيمة، وعلى أثر ذلك أصدر الحكم المستنصر أو امره بإنشاء الأسطول لغزوهم، وبلغ عدد مراكبه "ستمائة جفن بين غزوي وغيره[4]. وفي أول رجب سنة (355هـ_965م) وردت الأخبار بظهور أسطول النورمان في مياه قصر أبي دانس، واضطراب الساحل الغربي للأندلس كله لذلك. وتأهب المسلمون لتلقي الغزاة، عندما وصل هؤلاء إلى بسيط أشبونة، ودارت بين الطرفين معركة استشهد فيها جماعة من المسلمين، وقتل جماعة من المشركين، واشترك أسطول إشبيلية في المعركة فهاجم النورمان بوادي شلب وحطم عددا من سفنهم فانهزموا إثر ذلك خاسرين[5]. ويبدو أن سفن النورمان كانت تمتاز بمزايا خاصة كالسرعة في الحركة مما دعا الحكم المستنصر إلى إصدار الأمر بانشاء أسطول في إشبيلية على هيئة مراكب النورمان، إذ

---

(1) سمى العرب المعامل التي كانت تبني فيها المراكب البحرية بدور الصناعة، وربما قالوا الصنعة، ومشى كتابهم على هذا الإصطلاح، فترى مؤرخينا يقولون، كانت الصنعة في صور ، أسس فلان دار الصنعة في تونس، أو كانت صنعة الأندلس بالمرية وما أشبه ذلك، ينظر شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص 139

(2) شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص 118 119،

(3) أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ج 2، ص 57 59.

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 41

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 301 /أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٢، ص 182_181.

كان يتوقع رجوعهم من جديد السواحل الغرب، وقد حدث ما توقعه الخليفة، اذ هاجم النورمان سواحل الأندلس الغربية سنة 360هـ_970م)، وسنة 361هـ_971م) [1].

واهتم الحاجب المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر في خلافة هشام المؤيد 366_399هـ\ 976_1008م) ببناء السفن والمراكب الحربية، ومما يذكر أن المنصور بن أبي عامر أنشأ أسطولا كبيرا في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وخرج به في صائفة سنة 387هـ_997م) لغزو شنت ياقب (Santiago de Compostela) من مملكة جليقية[2]. وقد قال ابن دراج القسطلي في وصف الأسطول الذي أنشأه ابن أبي عامر[3] :

تحملُ منهُ البحرُ بحرًا من القِنَا يروعُ بها أمواجهُ ويهولُ
بكلّ مملاتِ الشراعْ كأنها وقد حَملت أسدَ الحقائقِ غيلُ
إذْ سابقتْ شأوُ الرياحِ تخيلتْ خيولاً مدى فرسانهُنَّ خيولُ
سحائبُ تُزجيها الرياحُ فإن وفتْ أطافتْ بأجيادِ النعامِ فيولُ
ظِباءُ سِمامْ ما لهن مفاحصُ وزرقُ حمامٍ ما لهن هديلُ

ويلاحظ مما سبق ذكره ازدهار صناعة السفن والأساطيل الحربية في الأندلس، وبخاصة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، إذ حظيت هذه الصناعة باهتمام الخلفاء ورعايتهم الخاصة، الأمر الذي أدى إلى تنوع قطع الأسطول الأندلسي وتعددها، فتنوعت في الحجم والنوع والوظيفة. وأدى ذلك إلى تطور القوة البحرية الأندلسية ، فوصلت إلى أوج عظمتها وازدهارها، وحققت الانتصار تلو الانتصار على المعتدين. وفي ذلك دلالة واضحة على إتقان الأندلسيين لهذه الصناعة، وإشارة جليلة إلى مدى التقدم و الرقي الذي وصلت إليه.

(1) تاريخ البحرية الإسلامية، ج2، ص 182.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 295./ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص 88.
(3) المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 87.

3. البنية التكوينية للجيش العامري

تمكن المنصور مُحَمَّد ابن ابي عامر من تكوين جيش قوى عُدّتاً وعتادًا ،استطاع بهذا الجيش أن يخوض أكثر من خمسين غزوة كان النصر فيها حليفه[1]، غير أنّ صاحب الأندلس ينفرد ويضبط عدد غزوات المنصور المقدرة بسبع وخمسين غزوة[2] ، وكانت نتائج هذه الغزوات المبهرة كثرة السبي على بنات الأسبان حتى امتلأت الأسواق لكثرة الجواري[3].

واختلفت مهمات كل طبقة من طبقات الجيش العامري، سواء كان ذلك في الحرب او السلام، ويفصل ابن الخطيب [4] تشكيلات الجيش العامري بقوله: "كان عدد جميع الأجناد العامريين من الفرسان من سائر الطبقات والأمراء، اثني عشر ألف فارس ومائة زيادة. وجميعهم مرتزقون في الديوان، يقام لهم بالحملان والحلية والسلاح والمنازل والنفقة والعلوفة على مراتب مختلفة. وانتهى تحصيل المنصور بن أبي عامر لجميع من ضمه عسكره في بعض صوائفه من الفرسان خاصة إلى ستة واربعين ألف فارس. وكان عدد فرسان الحرس لحمل العدة وخدمة العساكر ستمائة فارس. وعدد الشرط والرواد المتصرفين في خدمة العساكر مائتي فارس، و عدد الطبالين مائة وثلاثين فارسا، وانتهى عدد الرجالة معه إلى ستة وعشرين الف راجل. وكان معظم قادة الوحدات العسكرية برتبة وزير فما فوق، وقد يتولون قيادة البعوث العسكرية في جهة من الجهات[5].

أما ابن بسام فيذكر أنه كان تحت إمرة المنصور بن أبي عامر عشرون ألف مرتزق[6]. ولعله يشير هنا إلى الملتحقين بالجيش أثناء التعبئة العامة للقتال، وهو ما كان متبعاً عند

---

(1) الحميدي بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح، بشار عواد معروف ومُحَمَّد بشار عواد، دار الغرب الاسلامي ، تونس، ط1، 2008م، ص 74.

(2) مؤلف مجهول، صدر السابق، ص 226.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 87.

(4) ابن الخطيب، نفسه، ص 99.

(5) ابن حيان أبو مروان حيان ابن خلف بن حسين بن حيات ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمان علي حجي، منشورات أنطونيه ، دار الثقافة بيروت ، 1983م ،ص 78-79.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م 1، ص 74.

الاستعداد للقتال وبدء التجهيز للمعركة. ويذكر ابن الخطيب بهذا الصدد أن "المنصور بن أبي عامر لما اعتد للصائفة التي توفي فيها سنة 392هـ، انفذ الكتب إلي جميع الثغور، بأن يلحق ببابه جميع المترجلين من فرسان الجند بسائر النواحي ليشرف على حملهم بنفسه، فعمهم جميعا بالاركاب لكثرة ما تكامل من الخيل يومئذ. وقاد مع نفس المعسكر بعد ذلك سبعمائة رأس من الخيل، دون فرسانها عدة لما يحدث في طريقه ومعه خمسون فرسا من العتاق لركابه" [1].

هذا بالإضافة إلى حرس المنصور الذي كان يرافقه دائما، واستمروا كذلك في خدمة ابنه عبد الملك، فقد ذكر ابن بسام أن عماد دولة عبد الملك بن المنصور كان من الفتيان العامريين الذين أنشأهم والده المنصور، وكان قد وفر عنايته بهم وجد في تدريبهم، ووقف حذاق المدربين (المناقفين) الذين يجيدون المناجزة بالسيوف لتدريبهم وتأهيلهم، فأثمر غرسهم، وراقت جملتهم في الفروسية والرماية، وبلغوا ألفي غلام[2].

وعليه فقد تكون الجيش العامري من الفرسان والرجالة بالإضافة إلى افراد الشرطة العسكرية وفئات الاستكشاف و الطبالين، ومجموعات النقل والتزويد. ومن الفئات المقاتلة كان هناك الرماة[3] ، وكانوا على نوعين، الرماة الأحرار، والرماة العبيد[4].

ومن الفرق الأساسية في الجيش العامري، مجموعات البنائين والنقابين الذين يستخدمون في حرب القلاع والحصون، وكان لهم عرفاء، ويستخدمون لحفر السور وحل حجارته من بين نطق الخشب، ويستمرون في ذلك حتى يوسعوا الثلم ثم يحشوه حطبا مضرجة بالقطران، ثم يطلقون فيه النار ، فتشتعل تحت السطح وتحرقه. ووجدت مجموعة من الجيش مهمتها تجهيز حزم الحطب لاستخدامها عند حرق الأسوار. كما استخدم الجيش العامري المنجنيق والنبال في اقتحام الأسوار والحصون[5].

---

(1) ابن الخطيب، اعمال، ص100.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص 80-81.

(3) ابن الخطيب، اعمال، ص 74، ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص96.

(4) المصدر نفسه، ص 129.

(5) ابن عذاري، البيان، ج3، ص23.

وكان في كل كورة أجنادها الخاصة بها، فهناك جند دمشق وهم أهل كورة البيرة، وجند حمص وهم أهل كورة إشبيلية، وجند قنسرين وهم أهل كورة جيان، وجند فلسطين وهم أهل كورة شذونة، وجند الأردن وهم أهل كورة رية، وكانت هذه الأجناد تشارك في العمليات العسكرية حسب مراتبها وهم السكان فيها، كما كانت كل كورة ترسل ممثلين عنها من جيشها للمشاركة في المراسم و الاحتفالات، التي تعقد في العاصمة قرطبة[1].

واستخدم الجيش العامري فئات الاستخبارات العسكرية واعتمد نظام الجواسيس في الداخل والخارج، وكانت هذه الفئات ترصد حركات الأعداء و استعداداتهم في حالتي الحرب والسلام[2] وفي هذا الصدد يقول ابن خطيب :" واهتم المنصور بن أبي عامر بهذا الجهاز شخصيا، وكان تحت اشرافه المباشر، وجاء هذا الاهتمام لشدة حذره من تدبير المؤامرات في الداخل، والتحرك النصارى على حدود دولته في الشمال، وكان اشد حذره من جهة اهل بيت سلطانه، فاتخذ لذلك رجلا ثبتاً أمينا جعله عَيّنًا على مَنْ بالمدينة من ولد الخلفاء[3] . وكان له في الوقت نفسه كاتب يدور في الدواوين بترصد ما يجري من قصة، أو يحدث بين ولاتها من مناظرة، فيثبت ذلك ويطالعه به" [4].

وجامت هيبة المنصور في ملكه وسيطرته على أمور الدولة من ضبطه لأمور الجند، واستخدام الرجال الأقوياء والشجعان، وكان شديدا على الجند ويراقب تصرفاتهم، ولا يتورع عن قتل من يخالف تعليمات الانضباط العسكري، حتى لو كان ذلك في أوقات السلم[5].

وتتضح فئات الجيش العامري وطبقاته، عند الانتظام في المراسم الاحتفالات الرسمية، ويكون ذلك بخاصة عند اخذ البيعة من قادة الجيش وتشكيلاته، وأعطى المقري[6] وصفا مفصلا لهذه الطبقات من حيث الألوية واللباس والسلاح، حيث يأتي الفتيان الأكابر في

(1) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص، 230.
(2) ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، ص93.
(3) ابن الخطيب، اعمال، ص76، 77.
(4) المصدر نفسه، ص 77.
(5) المقري، نفح الطيب، ج1، ص396.
(6) المقري، نفسه، ص367.

المقدمة كل على قدره في المنزلة قرباً أو بعدا، من مجلس الخليفة ويرتدون الأردية البيضاء، شعار الحزن، وقد تقلدوا فوقها السيوف، يليهم بالترتيب الفتيان الوصفاء، عليهم الدروع الطويلة وبأيديهم السيوف، ويقفون في صفين منتظمين، ويتصل بهؤلاء الصقالبة الخصيان، لابسين البياض ويحملون السيوف، ويتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة، ثم الرماة بقسيهم وجعابهم، ثم صفوف العبيد الفحول، شاكين في الأسلحة والعدة الكاملة. أما العبيد من الطبقات الدنيا ومن غير الفرسان، فيكون استعدادهم في دار الجند، ويتكون لباسهم من الجواشن و الأقبية البيضاء، وعلى رؤوسهم البيضات الصقلبية، وبايديهم التراس الملونة والأسلحة المزينة، وينتظمون في صفين، ويلتحق بالجند العبيد، الفرسان العبيد، ويتصل بهم أيضا فرسان الحشم وطبقات الجند موكباً إثر موكب.

وكان يتواجد في القصر عدد من الكتائب العسكرية، منها كتائب الحشم الخاصة، ومهمتها الخروج لاستقبال الوفود، وهي بمثابة حرس الشرف حاليا، وكانوا يقفون في ساحة القصر صفين، ويتحتم على من يقابل الخليفة من ضيوف الدولة الكبار، أن يمر بين صفين مشكلين من كتائب الحشم[1].

اهتم المنصور بن ابي عامر بالجند الصقالبة، استمرارا لما جرت عليه عادة الخلفاء من قبله، ولكن الأمر لم يسجله في إعداد الجيوش من هذه الفئات، فقد عمل على ايجاد بديل مشارك لهم، وكان هدفه تنفيذ صيغة من التوازن بين فئات الجيش العامري، ويشير ابن خلدون إلى ذلك بقوله: ان المنصور بن أبي عامر عندما انتهى من تثبيت سلطته بالقضاء على منافسيه، رجع إلى الجند فاستدعى أهل العدوة من رجال زناته والبربر، فرتب منهم جندا، واصطنع أولياء، وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم، فتغلب على الخليفة المؤيد واستولى على الدولة، وقدم رجال البرابرة وزناته وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم[2].

---

(1) المقري، نفسه، ص367.

(2) ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص319، 320، ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص 114، المقري، نفح، ج1، ص374.

أمّا ابن الخطيب فيذكر أنه زعم أن عدد الفرسان من البرابرة الغرباء في ديوانه ثلاثة آلاف فارس، يضاف إليها من رجاله الرقاصة السودان الداخلين في عدادهم الفا راجل تتمة خمسة آلاف[1].

وياتي استقدام فرسان البربر والاستعانة بهم في الجيش العامري، من صمودهم والقدرة على تحقيق النصر[2]. يضاف إلى ذلك أن المنصور استغل الأوضاع السائدة في المغرب، فقد كان البربر يعيشون في ظروف صعبة، مهدت لتجنيدهم، فالمغرب آنذاك كان يمر بحالة من عدم الاستقرار السياسي والصراع الدائم بين القبائل، وكان الصراع على السلطة بين فروع القبيلة الواحدة.

ويذكر ابن بسام ماتم بشان استقدام البربر إلى الأندلس بقوله: "وانهمك المنصور في اصطناع البرابرة العدويين، ودعا القبائل منهم إلى الدخول اليه والخدمة له. وكان من اعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي، عم أبي المعز بن باديس ابن منصور صاحب إفريقية، وصاحب الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته[3].

ومن خلال هذا يمكن القول أن المنصورمُحَّد بن أبي عامر أعاد تنظيم الجيش تنظيما حقق من خلاله نتائج إجابية أدت الى نصر عظيم ، كما جعل القوات المسلحة وحدة متماسكة خاضعة له ، وقام أيضا بإلغاء النظام القديم. وأصبح لديه جيش نظامي يتكون من فرق عديدة، وحقق به انتصارات باهر، وقد شهد عهده تطور وازدهار ملحوظ خاصة في القطاع الصناعي وبرز ذلك من خلال تطويره لصناعة الأسلحة والسفن. وجمع المنصور أعظم القوى والموارد العسكرية التي أمنت له النصر، وهو يعد أعظم شخصية سياسية وعسكرية أتيح لها أن تقود الأندلس وكانت كفيلة بسحق الممالك الإسبانية.

---

(1) ابن الخطيب، اعمال، ص 102.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص 81.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص 81.

الفصل الثالث:

النشاط الجهادي للعامريين وتنفيذهم للخدع العسكرية

1. حملات المنصور ضد النصارى.
2. حملاته ضد المغرب والفاطميين.
3. مكر المنصور في تنفيذ الخطط العسكرية.
4. وفاة المنصور وتولي ابنه عبد الملك الحجابة.
5. تولي ابنه عبد الرحمان الحجابة ونهاية الدولة العامرية.

1. حملات المنصور ضد النصارى:

بعد أن وطّد الحاجب المنصور أركان حكمه داخل الأندلس، سعى إلى العمل على متابعة الفتوحات الخارجية، معتمداً على مبدا الجهاد في سبيل الله لكي يكتسب عمله الشرعية الدينية لضمان تأيد الناس له، فبدا بغزو الممالك المسيحية الشمالية قائداً للجيوش الإسلامية بنفسه، ولقد كثرت هذه الغزوات حتى زادت على الخمسين غزوة (ينظر الملحق رقم 01)، وكان له في السنة غزوتان في الربيع وفي الخريف (الصوائف والشواتي)، ولم تسجل له أية هزيمة في غزواته خلال فترة حكمه التي بلغت خمساً وعشرين عاماً، ولم يكتفي المنصور بنشاطه العسكري في الأندلس ,بل امتد الى المغرب.

ومن أبرز حملات المنصور بن أبي عامر:

1.1. الغزوات ضد مملكة ليون:

إستغل ملك ليون ردمير الثالث (355 - 372هـ / 966 - 982م) إنشغال أهل الأندلس بعد موت الخليفة الحكم المستنصر سنة 366هـ[1] وتولية ابنه الطفل هشام المؤيد بالله الخلافة فزحفت جيوشه ومن ساانده من أهل قشتالة، وهاجموا قلعة رباح[2] في الثغر الأعلى الأندلسي، وعاثوا فيها فسادا وقتلوا عددا من المسلمين وتقدمت جيوشهم فواصلت زحفها على مدن الأندلس، فأستنجد أهل الثغر الأعلى بالحاجب جعفر المصحفي القائم بأمر الدولة الإسلامية في خلافة هشام المؤيد بالله ، وذلك لنصرتهم على جيوش ليون والقشتاليين[3].

لكن الحاجب جعفر المصحفي ورغم توفر أعداد كبيرة من جيش الأندلس ورغم وفرة الأموال في خزائن الدولة ، إلا أن الخوف والجبن تملك قلبه لمواجهة جيوش النصارى واشار إلى أهل قلعة رباح بقطع سد نهر أنة لعمقه ، وذلك لحجز العدو من العبور إليهم حيث لم تتسع حيلته لأكثر من ذلك[4].

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص 242.

(2) قلعة رباح: هي بين قرطبة وطليطلة لها حصن حصين على نهر انة وهي مدينة محدثة في أيام بني أمية (أنظر الحميري ، الروض المعطار ، ص717).

(3) إبن بسام ، المصدر السابق ، ص61 - 62.

(4) إبن بسام ، المصدر السابق ، ص62.

وقد أشار المنصور محمد بن أبي عامر على المصحفي بتجهيز جيش وإستئناف الجهاد لصد عدوان النصارى على بلاد المسلمين ، وقد أبدى المنصور إستعداده لقيادة الجيش[1] ، فجهز الحاجب جيشة بقيادة المنصور محمد بن أبي عامر الذي خرج بالجيش من قرطبة في الثالث من شهر رجب سنة 366هـ/ 977م ، مستهدفا أراضي ليون وقشتالة فحاصر حصن الحامة" في جليقية وأنزل به ضربة قوية ، وفتح حصن ربضة ، وكان هذا الهجوم ردا على هجوم مملكة ليون على قلعة رباح ، وعاد المنصور إلي قرطبة منتصرا ومحملا بالغنائم والسبي وكانت هذه الغزوة الأولي له[2].

كان لهذه الغزوة صدي إرتياح لدي أهل الأندلس حيث أنها أتت بنتائج حسنة منها إرتداد جيوش ليون وقشتالة إلى بلادهم منهزمين، ولم يحاولوا بعدها غزو بلاد المسلمين طوال عهد المنصور، وكذلك كشفت هذه الغزوة عن مواهب المنصور محمد بن أبي عامر العسكرية وقدرته الفائقة في القتال، ومن ثم بدا نجمه يظهر في الأندلس[3].

خرج المنصور محمد بن أبي عامر في غزوته الثانية لغزو أراضي ليون سنة 366هـ / 977م وأجتمع مع غالب قائد الثغر الأعلى في مدينة مجريط (مدريد) على طريق وادي الحجارة، ثم إخترق الجيشان أراضي مملكة ليون فإستولى على حصن مولة وغنموا كثيرا من العتاد والسبي[4].

كان جيش غالب الناصري في هذه الغزوة متفوقا في القتال، إلا أن غالب الناصري نسب هذا النصر إلي المنصور محمد بن أبي عامر، وفي هذه الغزوة تحالف المنصور مع غالب للإطاحة بالحاجب جعفر المصحفي ، فعاد غالب بجيشه إلي الثغر الأعلى وعاد المنصور بجيشه إلي قرطبة منتصرا ، فازدادت شهرته وأصبح له نفوذ قوي لدي الخليفة هشام المؤيد بالله[5].

خرج المنصور في غزوته الثالثة في صفر سنة 367هـ / 977م ، قاصدا طليطلة وأجتمع فيها مع صهره القائد غالب الناصري ، وسار الإثنان وفتحا مدينة سلمنقة الواقعة جنوب غرب مملكة ليون

(1) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 256.

(2) إبن بسام ، المصدر السابق ، ص 62.

(3) أنيس الصولي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص129.

(4) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، 266.

(5) محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص528.

وإستولى على كثير من السبي والغنائم[1] وعاد المنصور محمد بن أبي عامر إلى قرطبة ومعه عدد كبير من الأسري فأعجب به الخليفة هشام المؤيد بالله ورفعه إلي خطة الوزارتين، ورفع راتبه إلي ثمانين دينار في الشهر تقديرا لإنتصاراته على النصارى[2].

من أهم غزوات المنصور محمد بن أبي عامر غزوته الرابعة وقد سماها صاحب كتاب مؤلف مجهول بغزوة الدالية وذلك لفتح حصن الدالية [3]، حيث سار بجيشه إلي مملكة ليون لمعاقبة ملكها ردمير الثالث لمساعدته لصهره القائد غالب الناصري ، فحاصرت جيوشه سمورة الواقعة شمال سلمنقة في صفر سنة 371هـ/ يوليو 981م، وهزم ملكها ردمير الثالث وهدمها، وقتل في هذه المعركة أعداد كبيرة من النصارى، وأسر عدد كبير من المسيحيين وعاد إلي قرطبة بعد أن كسب سلاحا وأموالا وأسرى من هذه الغزوة[4].

بعد هزيمة ملك ليون ردمير الثالث في هذه الغزوة تحالف مع كونت قشتالة غرسيه فرناند وأنضم إلى هذا التحالف ملك نبرة شانجة بن غرسيه المعروف بسانشوا في محرم سنة 371هـ/ أغسطس 981م ، وبذلك عقد هؤلاء الملوك الثلاثة تحالفا نصرانيا لمحاربة المنصور محمد بن أبي عامر ، ولما علم المنصور بذلك خرج لهم وسار إلي طليطلة ووصل إلى وادي دويرة حيث كانت تقيم جيوش التحالف، فنشب القتال بينهم في مقاطعة بلد الوليد ، ودارت معركة عنيفة بين الجيش الإسلامي والجيش الصليبي ، إنتصر فيها جيش المسلمين وهزم التحالف الثلاثي ، وقتل منه عدد كبير وأستولي المنصور محمد بن أبي عامر على قلعة شنت منكش ، وأسر في هذه الغزوة ما يقارب من عشرة ألاف نصراني[5].

عاد المنصور محمد بن أبي عامر إلي غزو مدينة ليون في ربيع الأول سنة 372هـ / سبتمبر 982م، وكانت هذه غزوته السابعة عشرة التي فتح فيها حصن ليون وطورة وأرباض[6] ، فحاول

---

(1) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ص 267.

(2) محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، 529.

(3) مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس، ص 227.

(4) القحطاني ، المرجع السابق ، ص192.

(5) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص332.

(6) مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس، ص 227.

راميرو الثالث ملك ليون إعتراض طريقه ومنعه من دخول المدينة ، ولكنه لم يستطع المقاومة، حيث هجم المسلمون على أبواب مدينة ليون ولكنهم لم يتمكنوا من فتحها بسبب دخول فصل الشتاء ، مما جعل المنصور محمد بن أبي عامر يعدل عن فتح مدينة ليون ويعود بجيشه إلي قرطبة[1].

بعد عودته من غزوة ليون ساءت الأحوال الداخلية في ممكلة ليون وذلك لكثرة هزائم ملكها راميرو الثالث ، و قامت ثورة في جليقية أهم ولايات مملكته حيث هزمه إبن عمه برمود الثاني سنة 372هـ /982م ، وفرَّ راميرو الثالث ملك ليون إلى مدينة إسترقة وألتمس مساعدة المنصور إلا أنه توفي في 374هـ / 984م ، فحاولت أمه أن تحكم البلاد بمساعدة المنصور محمد بن أبي عامر ، لكنه رفض مساعدتها وعندئذ أدرك برمود الثاني أنه لا يستطيع أن يخضع نبلاء النصارى الذين رفضوا الإعتراف بحكمه على عرش مدينة ليون وحده ، فلجأ إلي المنصور محمد بن أبي عامر ووضع نفسه تحت حمايته وساعده على مقاومة نبلاء ليون ، وأبقي حامية كبيرة من الجيش الإسلامي في ليون ، كما وافق برمود الثاني ملك ليون على دفع جزية سنوية للمنصور ، وبذلك أصبحت ليون أول مملكة نصرانية تابعة للدولة العامرية في الأندلس وتنفذ أوامرها[2].

لم يدم السلام طويلا بين المنصور محمد بن أبي عامر وبرمود الثاني ملك ليون ، بالرغم من ترك المنصور حامية من الجيش الإسلامي في مملكة ليون، إلا أن الأحوال لم تستقر في مملكة ليون لما كان يحدث من خلاف مستمر بين الحامية الإسلامية والنصارى ولما إستتب الأمر لبرمود الثاني ملك ليون أخذ يترقب الفرصة لإخراج الحامية الإسلامية من ليون ، فتم له ذلك عندما أعد جيشا من النصارى إستطاع به طرد الحامية إلى خارج حدود مملكته ، وعندما علم المنصور محمد بن أبي عامر بخبر طرد الحامية قام بإعداد جيش وتأهب لغزو مملكة ليون وذلك ردا على طرد الحامية الإسلامية منها ، فأتجه شمالا مخترقة أراضي ليون وسار غربا إلي مدينة قلمرية الواقعة شمال البرتغال فأستولي عليها سنة 377هـ/ 987م ودمرها[3].

توجه المنصور محمد بن أبي عامر في عام 378هـ / 988م لغزو مملكة ليون ، عندما خرج في جيش ضخم عبر به نهر دويرة وأخترق أراضي مملكة ليون وعندما علم برمود الثاني ملك ليون بوصول

---

(1) إبراهيم بيضون ، المرجع السابق ، ص 340.

(2) محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص 542-543.

(3) القحطاني ، المرجع السابق ، ص194.

جيش المسلمين رابط بقواته في مدينة سمورة للدفاع عنها ، ولكن المنصور إتجه إلي مدينة ليون وبعد مقاومة من الطرفين إخترق المسلمون أسوار المدينة ، وقتل قائد مدينة ليون الكونت جونز الفو كونثالث ثم إتجه المنصور محمد بن أبي عامر إلي سمورة وفي طريقه إليها أحرق عددا من الأديرة ، وحاصر سمورة مما إضطر برمود الثاني ملك ليون إلى مغادرتها سرا ، وقام سكانها بتسليم المدينة إلي المنصور محمد بن أبي عامر ، وأضطر معظم نبلاء ليون إلى الإعتراف بسيادته عليهم وبذلك لم يبقي في حوزة برمود الثاني ملك ليون من مملكته سوي الرقعة الجبلية الشمالية الغربية من جليقية[1].

ظل السلام قائمة على جبهة ليون الأندلسية، كما إستطاع برمود الثاني بعد فترة طويلة من إخضاع مملكة ليون إلي حكمه ، وأستمر الهدوء على مملكة اليون حتى سنة 385هـ / 995م، حيث إكتشف المنصور محمد بن أبي عامر مؤامرة إبنه عبدالله وعبدالله بن عبدالعزيز المرواني للإطاحة به، وكان عبدالله بن المنصور قد فرَّ إلي قشتالة ، وكذلك فر عبدالله بن عبدالعزيز إلي ليون فمنحه ملكها الحماية وكان برمود الثاني ملك ليون قد ساءت أحواله حيث سيطر النبلاء الإقطاعيون على سائر أراضي ليون وضياعها ، ولم يبقي له سوي الإسم فقط فأضطر إلي مغادرة ليون إلي إسترقة وجعلها عاصمة لمملكته ، والتي غزاها المنصور محمد بن أبي عامر في تلك السنة وتقابل مع برمود الثاني ملك ليون وهزمه ، فطلب الصلح وسلمه عبدالله بن عبدالعزيز المرواني ، وتعهد له بدفع الجزية وأستمر المنصور محمد بن أبي عامر مواصلا في غزواته فأستولي على مدينة سمورة واسكن بها المسلمين وولي عليها أبا الأحوص معن بن عبدالعزيز التجيبي[2].

غزوة شانت ياقوب (387هـ/997م):

عزم الحاجب المنصور على أن يقتحم شانت ياقوب[3] عاصمة جليقية أخر معقل للنصارى في شمال غرب الأندلس ، وهي منطقة وعرة وتعد من أخطر المناطق الأندلسية ولم يصل المسلمون إليها

(1)القحطاني ، المرجع السابق ، ص195.

(2) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص289-290. ؛ محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الاندلس ، ص552.

(3) شنت ياقوب: كنيسة عظيمة على أنف بحر الأنقليشين، وهي من ثغور ماردة، وتعتبر من أعظم كنائس النصارى في الغرب، لأنها مبنية على جسد يعقوب الحواري أحد الاثني عشر الذين اختارهم عيسى لميقات ربه، وهي بمنزلة الكعبة عند المسلمين،

إلا أيام الفتح الإسلامي منذ عهد موسي ابن نصير وطارق بن زياد ولم يفكر أحد من الفاتحين أن يقصد تلك المنطقة الجبلية الوعرة ، فقرر أن يعيدها إلي حكم المسلمين ، إذ أيقن أنه من المحال تحقيق الاستقرار أو ضمان الهدوء في الأندلس مع بقاء جليقية صامدة قوية ، لذلك قرر أن يقتحم هذه المنطقة الصعبة ، فوجود عشرات الانهر ما بين عاصمته قرطبة وما بين شانت ياقوب تجعل العبور بالغ الصعوبة بالإضافة إلي سلاسل الجبال الوعرة[1]، اغتنم برميدو ملك جليقية فرصة انشغال المنصور بالحرب في المغرب مع زيري بن عطية المغراوي فقطع الجزية ، فخرج المنصور لتأديبه وإظهار هيبته لأهل الشمال وأيضا لأهل المغرب ، وكان خروجه من قرطبة يوم السبت 24جماد الآخر 387هـ/ 4يوليو997م ، وهي غزوته الـ 48 [2]،ولما وصل مدينة غليسية اجتمع له من القوامس الذين لا زالوا متمسكين بالطاعة ، وقد تقدم المنصور في إنشاء أسطول كبير في قصر أبي دانس على الساحل الغربي للأندلس[3] ، وجهز الأسطول بالعتاد والرجال ليكونوا دعماً له وليزودوه بالميرة ، وكانت الطريق إلى شنت ياقب طويلة ووعرة ، حتى أنه أضطر في أحد الجبال أن يستعين بالفعلة [4] ليصنعوا له ثغرة بالجبال ليتمكن من المرور[5] ، وكان أول ما فُتح هو حصن شنت بلاية ، وافتتحوا الكثير من المناطق قبل دخول شنت ياقب مثل جبل مراسية ودير سنت برية وأنبة [6].

أشرف المسلمون على مدينة شانت ياقب في يوم الأربعاء من شهر شعبان سنة 387هـ/ أغسطس 997م ، فوجدوها خالية من أهلها بعد أن غادروها حينما إقترب المنصور بجيشه ، فدخلها المسلمون وأستولوا على غنائم ضخمة فيها وهدموا أسوارها وكنيستها العظمى ، واستولوا على سائر ما فيها من الذخائر والتحف ، وأمر الحاجب المنصور بصون قبر القديس ياقب القائم وسط الكنيسة

أيضا يطلق اللفظ على مدينة ونهر في الأندلس. الحمودي، نزهة المشتاق، ج2، ص535؛ الحميري، الروض المعطار، ج1، ص348.

(1) طارق السويدان ، الأندلس تاريخ مصور، مطابع المجموعة الدولية ، الكويت، ط1، 2005م، ص 230.

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس ، ص 235/ المقري، النفح ، ج 1 ، ص 398.

(3) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 106.

(4) وهم من يعملون في الحفر أو الطين، ابن منظور، لسان العرب ، ج11 ، ص528.

(5) المقري،نفح الطيب ، ج1 ، ص39.

(6) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج2 ، ص295.

والمحافظة عليه[1] وأستمر الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر في زحفه على بلاد النصارى حتى وصل إلى جزيرة شنت مناكش ، فأصبح الحاجب المنصور أول مسلم تطأ قدمه هذه البلاد[2].

أخذ الحاجب المنصور معه أبواب كنيسة شانت ياقب ونواقيسها وأجراسها على رؤوس أسرى النصارى حتى وصلوا بها قرطبة ، وعلقت النواقيس ثريات للمسجد، كما استخدمت أجراس الكنيسة مشاعل ينيرون بها على منازلهم[3].

ولهذا قيل لم يعرف عهد في تاريخ الأندلس إذا إستثنينا عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر تألق فيه نجم الإسلام كما تألق في عهد الحاجب المنصور مؤسس الدولة العامرية في الأندلس[4] ، وكانت هذه الغزوة من أكبر أعمال المنصور والأكثر شهرة في حياته ، إلا أنه أخطأ عندما هدم الكنيسة ، فالإسلام لا يجيز المساس بالكنائس والمعابد لاسيما أن الغرض من الحملة كان تأديب الخارجين على الطاعة والرافضين دفع الجزية ، ولم نسمع بهدم الكنائس من قبل في غزوات المسلمين ، وهذا ما أحدث ضجة بعد هدم كنيسة شانت ياقب، لأهميتها عند النصارى، وكانت هذه جرأة كبيرة من المنصور ، ولعل مما دفعه لذلك أنه كان يقاتل في الجنوب في المغرب وممالك الشمال لا تكف أبداً أذاها على الثغور الشمالية للبلاد ، فاضطر المنصور لاستخدام القوة الشديدة في التعامل معهم وسدد هذه الضربة الموجعة لهم في صميم مقدساتهم ولتحطيم الأسطورة التي كانو يزعمون.

2.1. الغزوات ضد مملكة نبرة:

في أثناء غزو المنصور محمد بن أبي عامر المملكة ليون سنة 378هـ/ 987م، قام النافاريون بقيادة ملكهم سانشو بن غرسيه بالإغارة على أراضي الثغر الأندلسي، فعاد لقتالهم وزحف إلي مدينة بنبلونة عاصمة مملكة نبرة وقبل في ذلك أن الرواية النصرانية ذكرت أن البشنكس هاجموا المسلمين ثم

(1) السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص332.

(2) خوليو ريس روبيو ، الأندلس بحثا عن الهوية الغائبة ، تر : غادة عمر طوسون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط1، 2014م ، ص115.

(3) أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص249.

(4) فيليب حتى ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر ، بيروت ،ج2 ، ط1 ،2007م ، ص634.

إنتصروا عليهم في أواخر هذه السنة، وسار جيش من الفرنسيين في نفس الوقت إلى برشلونة وأستولي عليها [1].

إلا أن الروايات الإسلامية تحدثنا عن غزو الحاجب المنصور لمملكة نبرة النصرانية دون أن تشير إلي أي هزيمة للمسلمين فيها ، وهذه الغزوة تسمي غزوة البياض وقد حدثت سنة 379هـ/ 989م ، عاد بعدها الحاجب المنصور بجيشه إلي سرقسطة حيث التقي بولده عبد الملك[2] بعد عودته من المغرب الأقصى[3].

كانت للمنصور محمد بن أبي عامر في كل غزوة من غزواته مفخرة من المفاخر ، ومن الأمثلة الدالة على قوة بأسه وشدة مهابته ، أنه حدث في إحدى غزواته أن أحد الجنود في جيشه نسي رايته مركوزة على جبل يقرب من إحدى مدن النصارى ، فبقيت هذه الراية منصوبة هناك على الجبل عدة أيام ؛ لأن النصارى اعتقدوا أن المنصور لا زال مقيمة بجيشه خلف الجبل ، فلم يجر أو على الإقتراب من المكان الذي نصبت فيه الراية وهذه مفخرة من المفاخر[4].

وفي إحدى غزواته أيضا على مملكة نبرة إجتاز طريقا بين جبلين ، وأوغل في بلاد الإفرنج وشن الغارات عليهم ، وغنم وسبي منهم الكثير وخرب أكثر مدنهم ولم يجرؤ أحد على لقائه ، وعندما أراد الخروج من ذلك الممر سد النصارى عليه الطريق ، فأظهر أنه يريد الإقامة في بلادهم فوزع الأرض وبث السرايا لشن الغارات على المدن المجاورة، وقتل عددا كبيرا من النصارى وسد مدخل الممر من جهته وغنم غنائم كثيرة من الأموال والسلاح[5] .

وعندما طال بقاء الحاجب المنصور في هذا الممر بعث إليه النصارى رسلهم ليفاوضوه ويطلبون الصلح على أن يخرج من بلادهم محملا بغنائمه وسبيه ، فاجابهم المنصور بأن أصحابي أبوا أن يخرجوا ، وقالوا اننا راينا أن الوقت لا يتسع للعودة إلي قرطبة ؛ لأن موعد الغزوة التالية قد أصبح قريبا ، لهذا

---

(1) محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص 547.

(2) عبد الملك بن محمد بن أبي عامر: تلقب بالمظفر، ويكنى أبو مروان، كانت ولايته ستة أعوام وأربعة شهور، توفي في 18 صفر عام 399هـ/ 22 أكتوبر 1008م، عن ست وثلاثين سنة. النويري، نهاية الأرب، ج23، ص238.

(3)محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص548.

(4) المقري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 596.

(5) إبن الأثير ، المصدر السابق ، ج8، ص 678.

عزمنا على الإقامة ، فزع الإسبان من بقاء المنصور محمد بن أبي عامر وواصلوا مفاوضاته إلي أن خرج المنصور محملا بالغنائم والأسري[1] ، وأستطاع في أثناء عودته من هذه الغزوة إطلاق سراح أسرى المسلمين في إسبانيا[2] .

تولي عرش مملكة نبرة بعد وفاة الملك شانجه إبنه غرسيه (384-390هـ/994-1000م) ولم يكن هذا الملك في مقدرة أبيه ، وقد أطلق عليه لقب غرسيه المرتعد ، ولم يحاول هذا الملك أن يرفع راية العصيان على الحاجب المنصور واكتفى بأن أقام معه ومع جيرانه من أمراء قشتالة علاقات الصداقة والسلم[3].

3.1. الغزوات ضد مملكة برشلونة :

تحول إهتمام الحاجب المنصور إلي شمال شرق الأندلس وجمع جيشا عظيما لهذه الغزوة التي قصد بها برشلونة ، وهي غزوته الثالثة والعشرون[4] ، فقد خرج من قرطبة في ذي الحجة سنة 374هـ فمر بمدينة غرناطة، وبسطة مرسيه، ومكث بها ثلاث وعشرون يوما في ضيافة أحمد بن عبدالرحمن المعروف بدحيم بني مروان بن الخطاب، وكان الخطاب من أعظم رجال الأندلس ثراءا وجاها وكرما، إستضاف المنصور وجيشه خلال إقامته عنده وتكفل بسائر النفقات وأصبح من أقرب أصدقاء الحاجب المنصور[5].

سار الحاجب المنصور بجيشه قاصدا برشلونة وذلك بعد شهرين من خروجه من قرطبة ، وكانت هذه المدينة قد إنتزعت من المسلمين أيام شارلمان وأصبحت عاصمة لإقليم مستقل يعرف بإسم قطلونية ، الذي إندمج في وقت متأخر مع مملكة أرغونة إحدى الممالك المعادية للمسلمين[6] .

---

(1) ستانلي لين بول، قصة العرب في اسبانيا ،تر: علي الجارم بك ، دار المعارف ، مصر ، ط9 ص 150-152.

(2) المقري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 597.

(3) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص144.

(4) مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص 229.

(5) محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص 543.

(6) إبراهيم بيضون ، المرجع السابق ، ص 244.

إجتاح الحاجب المنصور بجيشه برشلونة وفتحها في يوم الإثنين من شهر صفر سنة 375هـ، وسبى الكثير من أهلها وقام بتخريبها بعد هزيمة حاكمها بريل الثاني ، وغنم منها أموالا كثيرة وسلاحا وعبيدة[1] ، ولم يجرؤ حاكم برشلونة بريل الثاني على مواجهة الحاجب المنصور لإنقاذ مدينة برشلونة ، وكان من بين الأسري نائب كونت برشلونة حيث اقتيد مع الأسري إلي قرطبة حيث قضي أعوام طويلة في الأسر وكان المنصور يقصد من فتح برشلونة تأديب النصارى وتدمير قوتهم في هذا الطرف النائي من شبه الجزيرة الأيبرية[2] ، إلا أن برشلونة لم تستمر طويلا في أيدي المسلمين إذ أن النصارى إنتهزوا فرصة إنشغال الحاجب المنصور في حملته على بنبلونة عاصمة مملكة نبرة المسيحية سنة 376هـ وساروا إلى برشلونة بحرا وأستولوا عليها[3] .

4.1. الغزوات ضد مملكة قشتالة :

كان الحاجب المنصور قد أرسل أحد رسله إلي غرسيه كونت قشتالة فأكرمه وبينما كان الرسول يتجول في كنائس قشتالة أوقفته إحدى النسوة وأخبرته بنفسها وزعمت أن لها عدة سنين مسجونة في تلك الكنيسة ، وناشدته الله في فك حبسها ولما وصل الرسول إلي قرطبة أخبر الحاجب المنصور بقصة تلك المرأة ، فقام المنصور وسار بجيشه غازية مملكة قشتالة[4] .

علم غرسيه كونت قشتالة بمقدم الحاجب المنصور فكتب إليه يخبره بأنه ما إرتكب ذنبا ولا خرج عن طاعته ، فأعلمه بقضية تلك المرأة ، فاقسم أنه لم يبصرها ولم يسمع عنها ، وتحقيقا لطاعته للحاجب المنصور أمر غرسيه بهدم تلك الكنيسة فغادرها الحاجب المنصور وعاد إلي قرطبة[5] .

إلا أن غرسيه كونت قشتالة لم يستمر في ولائه للحاجب للمنصور فقد لجأ إليه عبدالله بن المنصور الذي ثار على أبيه المنصور وهرب إلي غرسيه فأعطاه الأمان وحرضه على الثورة على أبيه فما كان من الحاجب المنصور إلا أن أعد جيشا قويا لغزو قشتالة عقابا لأميرها غرسيه بن فرناندیز

---

(1) إبن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص63.

(2) العبادي ، المرجع السابق ، ص348.

(3) نفس المرجع ، ص348.

(4) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، 297.

(5) ابن عذاري ،بيان المغرب، ج2، ص298

لمناصرته لإبنه عبدالله فأستولي على حصن أوسمه وأسكنه المسلمين ، وعند ذلك أعلن غرسيه قبوله الشروط المنصور بتسليم إبنه عبدالله له ، حيث أمر المنصور بقتله وذلك سنة 380هـ/ 990م[1] .

لم يصفح الحاجب المنصور عن غرسيه كونت قشتالة لإيوائه ابنه عبدالله فقام بتحريض سانشو بن غرسيه بالثورة على أبيه وأمده المنصور بعدد من الكونتات وبينما كان غرسيه منشغلا في حرب أهلية مع إبنة سانشو إستولي الحاجب المنصور على حصون شنت إشتين وكلونية ، وتقابل مع جيش غرسيه على ضفاف نهر دويرة وأسر غرسيه كونت قشتالة في تلك المعركة وذلك في ربيع الثاني سنة 385هـ/ مايو 995م[2] .

حمل غرسيه كونت قشتالة إلى مدينة سالم لمعالجة بعض الجروح التي أصيب بها في المعركة إلا أنه مات متأثرة بها في الطريق فأرسل إلي قرطبة ، وأمر الحاجب المنصور بتسليم جثته إلى ولده سانشو الذي تولي حكم قشتالة بعده (385-407هـ / 599-1017م) وعقد مع المنصور صلحا تعهد بموجبه أن يدفع الجزية للحاجب المنصور[3] .

ومن عجائب القدر أن شاعر الحاجب المنصور أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي كان قد أهدي للمنصور أيلا (غزال) وسماه غرسيه بإسم كونت قشتالة وذلك في اليوم الذي أسر فيه كونت قشتالة غرسيه ، وكتب فيه أبيات شعرية منها :

ياحرزَ كلَّ مخوفٍ وأمانَ	كل مشردٍ ومعزَّ كلَّ مذلَّلٍ
يا سِلكَ كل فضيلة ونظامَ كل	جَـزيلـةٍ وثـراء كـل مـعيـلٍ
عبـدَ جـذبـتَ بضبعة	ورفعتَ من مقدارهِ أهدي إليكَ بأيلٍ
سميـتـهُ غـرسـيـه وبعثتهُ	من حبلِ كي ما يُتاحَ تفاؤلي
فلئِن قبـلـت فـتلـتك أنـفـسُ مـنه	أسدي بها ذو منحة وتطولِ[4]

(1)ابن عذاري، بيان المغرب، ج2، ص424.

(2) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 551.

(3) إبن بسام، المصدر السابق، ص 31.

(4) إبن الخطيب، المصدر السابق، ص68-69.

وفي سنة 390هـ/ 1000م سار الحاجب المنصور بجيشه قاصدا أراضي قشتالة وكانت هذه الغزوة من أشد غزواته؛ لأن قشتالة نجحت في إنشاء جبهة موحدة من ملوك النصارى حيث تحالفوا على حرب المنصور تحت زعامة سانشو غرسيه كونت قشتالة[1] .

كانت القيادة العليا للنصارى في يد سانشو غرسيه كونت قشتالة وبالتالي أصبحت قشتالة محور المقاومة ومركز الثقل في الصدام العسكري مع المسلمين لأن كل من ملك نبرة – الذي يعيش في بلاد قشتالة – وألفونسو الخامس ملك ليون – الذي كان تحت وصاية أحد كونتات جليقية – كانا أطفالا[2] .

جمع سانشو غرسيه سائر جنده في وسط قشتالة في وادي جربيرة وتعاهد ملوك وأمراء النصارى على القتال وعدم الفرار، فرأي المنصور أن يبادر أعدائه بالهجوم فاقتحم قشتالة من ناحية مدينة سالم، حيث كان سانشو في جمع عظيم من جيوش النصارى وملوكها إضافة إلي حصانة مراكزهم وكثرة عددهم ، ولهذا رأي سانشو غرسيه أن يعجل بالهجوم على المسلمين قبل أن يوطدوا مراكزهم[3] .

لذلك إندفع النصارى بهجوم عنيف على المسلمين من ناحيتي الميمنة والميسرة دفعة واحدة ودارت الحرب وأشتد القتال، وقتل عدد كبير من المسلمين وفر بعضهم ، ولم يبقى مع الحاجب المنصور من الجيش إلا القليل حيث كان ولَداه عبدالملك وعبد الرحمن يقودان قلب الجيش الإسلامي الذي كان من البربر الذين صمدوا معه في مواجهة النصارى ، وصعد المنصور على ربوة مشرفة على المعركة وأخذ يحث رجاله على الثبات ، ولم يمضي زمن قليل حتى إنقلبت موازين المعركة لصالح المسلمين وهزمت جموع النصارى[4] .

والذي ضاعف للمسلمين ثباتهم وإنتصارهم هذا تمكن أحد جنود من البربر من قتل أحد أمراء قشتالة وجاء براسه إلي الحاجب المنصور وساعدهم هذا في قتل أعداد كبيرة من النصارى ، ونصر الله

---

(1) القحطاني ، المرجع السابق ، ص 209.

(2)القحطاني ، المرجع السابق ، ص 209.

(3)نفسه ، ص210.

(4) إبن الخطيب ، المصدر السابق ، ص69-70.

المسلمين في هذه المعركة بنصر ماسُمع بأعظم منه ، كما انه قد إستشهد في هذه المعركة من الجيش الإسلامي ما يقرب من 700جندي ، و كان ذلك في 24شعبان 390هـ/ 30 يوليو 1000م[1] .

وتابع الحاجب المنصور غاراته على إمارة قشتالة مدمرا كل شئ في طريقه حتى أقتحم عاصمتها برغش في يوم عيد الفطر المبارك لسنة 390هـ/ 1000م وواصل مسيره إلي مدينة سرقسطة ، ومنها قام بغزوة على أراضي مملكة نبرة حتى وصل عاصمتها بنبلونة دون أن يعترضه أحد من النصارى[2]. عاد بعد ذلك إلي قرطبة بعد أن أمضي في هذه الغزوة ثلاثة شهور ، ووجه على إثر عودته كتابا ليقرأ على الجيش ، يلقي فيه المنصور باللوم على جنده لما بدا منهم في تخاذل في حرب قشتالة ، ويذكرهم بأنه لولا ثبات وشجاعة فئة قليلة من جيشه لما أحرز النصر وهم الذين أزالو العار من جميعا من الجيش وبفضلهم ظل الوجود الإسلامي في الأندلس[3].

وأخر غزوة للحاجب المنصور سنة 392هـ / 1002م كانت على قشتالة ففي هذه السنة جهز المنصور جيشه إستعداد للغزو كعادته ثم سار بجيشه غازيا أراضي قشتالة وواصل زحفه حتى بلدة قناليش ثم إتجه غربا إلي برغش وعاث في تلك المنطقة وهزم فيها جيوش مملكة قشتالة[4] .

2.حملاته ضد المغرب والفاطميين:

لم يكتف المنصور بنشاطه العسكري في الأندلس، بل امتد إلى المغرب، مقلداً سياسة خلفاء بني أمية مثل عبدالرحمن الناصر والحكم، والتي تقوم على ضرورة الاحتفاظ بالجبهة المغربية لتكون خطاً دفاعياً أمامياً ضد الخطر الشيعي من الجهة الجنوبية، فأول هجوم واجه المنصور من المغرب كان في سنة 369هـ/979م، بقيادة الأمير بلكين بن زيري الصنهاجي[5] ملك الدولة الزيرية في المغربين الأدنى

(1)إبن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 71

(2) محمد عبدالله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص562.

(3) نفس المرجع ، ص563.

(4) القحطاني ، المرجع السابق ، ص212.

(5) بلكين (بلقين) بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو الفتوح يوسف، من ملوك قبيلة صنهاجة، أحمد الثورات، واستطاع أن يوحد المغرب العربي من طرابلس إلى فاس، وبنى عددا من المدن : كمدينة الجزائر والمدية وملیانة سنة 349هـ (ينظر، ابن ابي الدينار، المؤنس، ص74. / أبو عمران الشيخ، ناصر الدين سعيدوني، معجم المشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995م، ص 86 87.

والأوسط، ولكن المنصور استطاع أن يُعد له جيشًا كبيراً في منطقة سبّتة وعندما رأى هذا المغربي جيش المنصور من أعالي الجبال المطلة على سبتة، اقتنع ان بنه بجيش المنصور اصبحت الحية التي قررت ابتلاعه فقال لأصحابه: (إنما سبتة حبة ولت ذنبها حذاءنا و فغرت فاهاَ نحونا)، فانصرف راجعا إلى وطنه[1].

وفي سعي المنصور للسيطرة على المغرب جهز جيشا في سنة 375هـ / 985م، وبعثه إلى (العدوة المغربية، فحاصر حسن بن قنون (جنون)، الشريف الحسني، كان قد حاول الخروج من الدعوة المرانية واجتمع إليه خلق من أهل المغرب، وظهره أمره[2] وعندما وصل الجيش إلى المغرب لم يجد ابن جنون طريقة سوى الاستسلام وطلب الأمان، فأجابه قائد الجيش، وجاء به إلى قرطبة، فأمر المنصور بقتله ليلا في الطريق بغياً وتعدياً[3] ، واستمرت نشاطات المنصور العسكرية في المغرب بالانتصارات على مناوئيه في المغرب إلى أن نجح في ذلك نجاحا باهرا لم يبلغه أحد من قبل ولا من بعد، إذ أدخل للطاعة الأموية كل بلاد المغرب الممتدة إلى سجلماسة جنوبا سنة 370هـ، وإلى ولايتي تلمسان وتاهرت شرقا سنة 381هـ[4].

ومن أبرز المخاطر التي واجهت المنصور في المغرب هي ثورة الزعيم المغربي زيري بن عطية الزناتي عام 386 هـ / 996م. وكان الزناتي حليفا للمنصور وشديد الولاء، على هذا أقامه المنصور حاكما على بلاد المغرب، ولقد أتسمت علاقتهما في البداية بالود والصفاء، إذ كان الزناتي حريصا على إظهار الولاء للدولة الأموية بقيامه بإرسال الهدايا الثمينة إلى المنصور، لكن هذه العلاقات اتخذت طابع الفتور والتوتر بعد أن طمع الزعيم المغربي بالاستقلال عن الأندلس، وتختلف المصادر التاريخية في تحديد أسباب الخلاف بين الزعيم المغربي والمنصور، فيشير أحدها إلى أن زيري بن عطية استقل العطاء الذي كان يخصصه له المنصور كل سنة، ويقال أن الزناتي قد استخفّ بلقب الوزير الذي لقبه به المنصور عندما ولاه على المغرب، واستنكره عندما ناداه أحد رجاله بالوزير قائلا له: "وزير بالكع، لا

(1) وديع ابن زيدون ، مرجع السابق ، 277.

(2) المقري ،نفح الطيب ،ج1،ص398

(3) ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج2، ص279_280

(4) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ،مكتبة النهضة ،القاهرة ،1990، ص221.

والله إلا امير بن أمير، واعجبا لابن أبي عامر و مخرقته، لأن نسمع بالمعيدي خير من أن نراه، والله لو كان بالأندلس رجل ما تركه على حاله وان له منا ليوما "[1].

كما تشير رواية أخرى إلى أن الزعيم المغربي قد استاء من معاملة المنصور للخليفة، وتحالف مع السيدة صبح أم هشام التي ساءت علاقتها بالمنصور، وسعت إثر ذلك إلى إرسال الأموال إلى المغرب لجلب جيوش للقضاء على المنصور، فاخذت الأموال من بيت المال في القصر الخلافي بالزهراء، ووضعتها في جرار على شكل هدايا إلى حليفها الجديد المغربي زيري بن عطية، ولكن المنصور اكتشف المؤامرة فاستولى على الأموال، وقام بنقل بيت المال من مدينة الزهراء إلى مدينة الزاهرة التي بناها كبديل لمدينة الخلافة واتخذها مقرًا لحكمه[2].

ومهما تكن اسباب الخلاف بين الزناتي والمنصور فقد اعلن الزعيم المغربي القطيعة مع الأندلس إذ أقدم على طرد عمال الخلافة من جميع البلاد المغربية سنة 386هـ/ 996، ما عدا القواعد الأموية المطلة على المضيق مثل سبتة وطنجة ومليلية، وكان قد اتخذ شعاره الحربي بعبارة (هشام يا منصور) ولقد قابل المنصور هذه الإجراءات بان عزل الزعيم المغربي عن الوزارة وقطع ما كان يعطيه من راتب، واعلن براءته منه، واستعد له بجيش جهزه بقيادة واضح الصقلبي قائد مدينة سالم، وسار الجيش إلى المغرب عابرا المضيق سنة 387هـ / 977م ونزل في مدينة طنجة إذ انضم إليه الموالين للمنصور من قواد البربر ومقاتليهم، بعدها سار واضح الصقلبي بالجيش إلى مدينة فاس ولكنه لقي مقاومة شديدة من جيش الزعيم المغربي فاضطر للانسحاب إلى طنجة ولما وصلت اخبار هزيمة جيش المنصور إلى الأندلس، لم يقف المنصور مكتوف الأيدي، بل قام بتجهيز قوة عسكرية ضخمة، إذ أنه ضم جميع جيوش الأندلس وسار بها إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى سبتة، وقام بتقليد ابنه عبدالملك المظفر بقيادة الجيوش وعزل واضح الصقلبي، وبقي المنصور في الجزيرة الخضراء لمراقبة نتائج المعركة عن قرب[3].

وعندما علم الزعيم المغربي بالقوات الأندلسية الكثيرة العدد، قام بالاستنجاد في جميع قبائل زناتة في انحاء المغرب، فلبت قبائل زناتة نداءه، فاستعد للقتال، وشهد وادي منى في طنجة وقائع المعارك الشرسة بين الطرفين وكان فيه القتال، تعادلت كفتهما ولم يستطع أحدهما أن يحقق نصرا نهائيا على

(1) ابن خلدون ،العبر ،ج2، ص41.

(2) ابن عذاري ،مصدر سابق ،ج2 ،ص302

(3) ابن عذارى، مصدر سابق ،ج2، ص 275

الآخر، إلا أن حدثا مهما قد أخل بميزان القوة لصالح الجيش الأندلس، إذ تشير الرواية إلى أن غلاما أسود أسمه كافور بن سلام، كان الزعيم المغربي قتل أخاه من قبل، استطاع أن يصل إلى خيمة الزعيم ويطعنه طعنة نافذة في رقبته ثم هرب إلى معسكر عبدالملك بن المنصور يبشره بمقتل زيري، ولكن مصدر آخر بنسب محاولة قتل زيري إلى ابن عمه الخير بن مقاتل الذي طعنه في ظهره وهرب[1] . ومهما يكن، فقد أحدث هذا الفعل اضطرابا في الجيش المغربي فقام عبدالملك باستغلال الفرصة الذهبية، فحمل على جنود زيري بن عطية واستطاع هزيمتهم والاستيلاء على مالهم وسلاحهم. ثم استولى على فاس وتادلا وسجلماسه وغيرها من المدن المغربية المهمة، واستطاع أن يبسط نفوذه على المغرب الأقصى، بعدها عاد عبدالملك بن المنصور إلى الأندلس، بعد أن تم تعيين واضح الصقلبي حاكما على المغرب من قبل المنصور سنة 389هـ/999م[2].

أما الزعيم المغربي فقد توفي متأثرا بجراحه وخلفه في زعامة زنانة ابنه المعز الذي اتبع سياسة المصالحة مع دولة الأندلس، وتم الصلح بعد أن دخل في طاعة المنصور، وبهذا يكون المنصور قد بسط نفوذه ثانية على معظم المغرب الذي صار يدين للدولة الأندلسية بالولاء[3].

وكان المنصور بعد هذا قد جد الكثير من البربر والمماليك[4]، وأكثر من الاعتماد على هؤلاء وخاصة البربر حيث قدمهم وآخر رجل العرب واسقطهم عن مراتبهم[5].

1. حنكة المنصور في تنفيذ الخطط العسكرية

وما كان للمنصور بن أبي عامر أن يحقق هذا الظفر والانتصار بدون مكر وخديعة حيث أعمل الحيلة والخديعة في كل مناحي حياته حتى وصل إلى ما هو فيه من سلطة وسيادة واقتدار فكان من أهم الحيل والخدع التي استخدمها في حياته العسكرية ما يلي:

---

(1) نفسه ،ص421

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7 ،ص70.

(3) عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق،ص ص246،245 .

(4) المقري ،نفح الطيب ،ج1 ص397.

(5) نفسه ،ص397

أ . الحصار الشديد :

أحد الوسائل والأساليب التي استخدمها المنصور بن أبي عامر لإخضاع المدن والقلاع والحصون، وبغير هذه الخدعة ما كان له أن يفتح تلك الحصون والمدن حيث كان من خلال هذه الخدعة يوهم السكان بأنه لن يرفع عنهم الحصار حتى يستسلموا ويسلموا أو يفنوا عن آخرهم، وكان يساعده في ترويج ذلك قيامه بتخريب وهدم كل ما يحيط بالحصن أو المدينة، وهذا نجده واضحا في فتحه لمدينة سمورة عام 371هـ/981م في غزوته السادسة فعندما امتنعت عليه المدينة قام بحصارها ثم باشر بهدم ونسف كل ما يحيط بالمدينة[1]، وكذلك عندما فتح حصن الحامة[2] في غزوته الأولى عام 366هـ/1977م حيث لم يتمكن من فتح الحصن إلا بعد تشديد الحصار على سكانه مما دفعهم للاستسلام وتسليم الحصن[3].

ب . مساندة ومعاونة أحد الفريقين المتنازعين في بلاد النصارى:

اعتمده المنصور بن أبي عامر على حيلة وخدعة ، لتمزيق وحدة النصارى وإضعاف قوتهم وإخضاعهم لطاعة الدولة الإسلامية بأقل الخسائر، ويتضح ذلك من خلال مساندته برمودو[4] ضد راميرو أثناء الصراع بينهما للسيطرة على كرسي الحكم في مملكة البشكنس وذلك مقابل الاعتراف بالطاعة والخضوع للمسلمين فأمده المنصور بالجيش، وتمكن برمودو من السيطرة على الحكم وإخضاع المملكة لسيطرته وبقيت في المملكة قوة كبيرة من المسلمين، وبذلك دخلت مملكة البشكنس النصرانية لأول مرة تحت السيادة الإسلامية وغدت ولاية تابعة للدولة الإسلامية تنفذ سياستها وتخضع لطاعتها، وما كان للمنصور تحقيق ذلك لولا سياسة المكر والدهاء والخديعة التي اتبعها موهما خصمه أنه يعمل لصالحه، وفي سبيل توطيد حكمه ولكن الحقيقة أن المنصور أراد السيطرة على المملكة

---

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص186؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص527.

(2) حصن الحامة، يقع جنوب بلدة بخار في السفح الغربي لجبال جريدوس، يعرف اليوم (بلوس بانيوس)؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص527.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص /257 المقري، نفح الطيب، ج3، ص88.

(4) برمودو الثاني (956 – 999) الملقب بالدموي كان ملكا على جليقية بين عامي 982- 984، ثم ملكا على كل مملكة ليون بين عامي 984 – 999م.

مستغلا الخلاف والنزاع الحاصل بين النصارى كان ذلك في عام (373هـ/984م)[1]. كذلك نجد أن النصارى استخدموا هذا الأسلوب مع المسلمين فنجد (غرسية) صاحب ألبه ساند ودعم عبد الله بن أبي عامر في خروجه على أبيه المنصور[2].

ج . تدمير وحرق المدن:

حيلة وخدعة وأسلوب قتال اعتمده المنصور لوقف هجمات النصارى على الأراضي الإسلامية حيث:

خرج المنصور في غزوته الثالثة والعشرين من قرطبة في ذي الحجة عام (374هـ /مايو 985م)[3] قاصداً برشلونة التي سيطر عليها النصارى عام 185هـ/801م أثناء خلافة الحكم بن هشام، وجعلوا منها قاعدة متقدمة لمهاجمة الأراضي الإسلامية[4]، فأراد المنصور أن يضع حدا لتجاوزات النصارى في هذه المدينة فدارت على أبواب المدينة معركة قوية بين الطرفين كانت الغلبة فيها القوات ابن أبي عامر التي تمكنت من دخول المدينة منتصف صفر عام (375هـ/6 يوليه عام 985م)[5]، فقامت بتدمير المدينة وحرقها، وقتل معظم سكانها، وتركوها أثرا بعد عين تم تركها ولم تكن لديه نية في الاحتفاظ بها[6].

يتضح لنا من خلال هذه الغزوة أن ابن أبي عامر استخدم أكثر من حيلة لوقف تجاوزات مدينة برشلونة على الأراضي الإسلامية، حيث قام جيش المسلمين بتدمير المدينة وحرقها وقتل معظم أهلها وذلك حتى لا تعود لما كانت عليه من قبل، فقيامه بتدمير المدينة فقط دون قتل سكانها يسمح للسكان بالعودة لبناء المدينة من جديد، وقتل السكان مع بقاء المدينة على حالها، يعطي فرصة لقوم آخرين للإقامة فيها، ولكن تدمير المدينة وقتل سكانها شكل ضمان حقيقي لوقف الاعتداءات من

---

(1) القلقشندي أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج5، ص256؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص542.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 267.

(3) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص188؛ القضاعي، الحلة، ج2، ص312.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص309-323؛ ابن كثير، المختصر، ج1، ص157.

(5) القضاعي، الحلة، ج2، ص 311.

(6) عنان، دولة الإسلام، ج2، ص544.

تلك الناحية على الأراضي الإسلامية بعد تدمير قوة النصارى. يقول ابن الخطيب: "وقومس الفرنجة بمدينة برشلونة، وهذه الأمة أكثر النصرانية جمعا، وأوسعها وأوفرها من الاستعداد، وما أوطئ من الممالك والبلاد، وفتح من القواعد، وهزم من الجيوش، وقف المنصور عنها، وهو أطمع الناس في استئصالها[1].

كذلك استخدام ابن أبي عامر لهذه الحيلة والأسلوب مكنه من عدم إقامة قوات إسلامية في تلك المنطقة البعيدة عن عاصمة الخلافة وفوت الفرصة على النصارى للانفراد بجيش المسلمين في ذلك الطرف النائي من الأندلس، وبهذا تمكن المنصور إخماد واحدة من جبهات القتال المستعرة في الشمال الأندلسي والتي أذاقت المسلمين في تلك النواحي ويلات الحرب والقتال.

توجه المنصور في عام 378هـ/987م إلى مدينة قُلُمرية، لتأديب النصارى على ما فعلوه بحامية ليون المسلمة، فاستولى عليها، وقام بتخريبها وتدميرها وبقيت لمدة سبعة أعوام لا يستطيع أحد أن يسكنها نتيجة التخريب والدمار الذي لحق بالمدينة[2]

نستنتج ممّا سبق أنَّ هذا الأسلوب يعكس مهارة ابن أبي عامر في جعل النصارى ينشغلون في أنفسهم ويوقفون هجماتهم على المسلمين؛ وذلك خوفا من أن يلحق بمدائنهم الخراب والتدمير وكذلك لانشغالهم بإعادة بناء وترميم ما تم تدميره وتخريبه.

د . تغيير الاتجاه:

في عام 378هـ/988م خرج المنصور في جيش كبير مُوهمًا النصارى أنه يريد سمورة فتحفز النصارى لذلك ورتبوا أنفسهم ووضعوا خططهم لمواجهة جيش المنصور لاعتقادهم أن الهجوم سيكون على مدينتهم، فرابط برمودو في مدينة سمورة ولكن المنصور فاجأهم بتغيير سير قواته إلى مدينة ليون فلم يعيق دخوله المدينة إلا مناعة أسوارها ولكنه سرعان ما تغلب عليها ودخلها المسلمون بعد أن

---

[1] الإحاطة، ج2، ص59.

[2] عنان، دولة الإسلام، ج2، ص548.

قتلوا قائدها، وقام المسلمون بتخريب المدينة وقتل سكانها وتركوها قاعاً صفصفاً؛ ثم توجه المنصور إلى مدينة سمورة، فحاصرها حتى اضطر سكانها إلى تسليمها والاعتراف بطاعتهم للمنصور[1].

ومن هنا يتضح لنا مهارة المنصور في فتح مدينة ليون الحصينة بأقل الخسائر وبسرعة كبيرة وذلك باعتماده المكر والخديعة والتضليل حيث أوهم النصارى بأن هدف غزوته مدينة سمورة فرتبوا أنفسهم وأخذوا احتياطاتهم وجهزوا قواتهم على ذلك وإذا بهم يفاجأوا بجيش المسلمين على أبواب مدينة ليون مما أربك حساباتهم وبدد خططهم واتبع هذه الحيلة، بحيلة أخرى حينما ركز على قتل قائد المدينة؛ ليقضي على أي أمل لدى سكان المدينة في إعادة ترتيب صفوفهم، ثم قيامه بتخريب المدينة وقتل سكانها في حيلة أخرى؛ حتى لا تعود المدينة لسابق عهدها في مهاجمة الأراضي الإسلامية وينشغل النصارى في إعادة بناء وترميم مدينتهم.

كذلك مهاجمة مدينة سمورة بعد الانتهاء من مدينة ليون خدعة أخرى استخدمها المنصور، حيث هاجم المدينة بعد أن اعتقد سكانها أنهم غير مستهدفين وأن الهجمة تجاوزتهم لغيرهم فأخلدوا للراحة، وأوقفوا الاستنفار، ففاجأهم المنصور بمهاجمة المدينة الأمر الذي دفع سكانها إلى التسليم والاعتراف بالطاعة للمنصور وهرب حاكمها (برمودو)[2].

وعليه تتضح لنا براعة المنصور في السيطرة على مدينة سمورة المنيعة والتي تشكل قصبة ملك النصارى فما كان له أن يحقق ذلك الانتصار بهذه السرعة وبخسائر قليلة بدون المكر والخديعة.

٥ . إرسال الرسل والسفراء بشكل مستمر إلى بلاد الشرك:

خدعة وحيلة أراد منها ابن أبي عامر الوقوف على أخبارهم ومعرفة أحوالهم، يذكر ابن عذاري: أن أحد الرسل كان كثير التردد على بلاد البشكنس فوقف على عدد من الأسرى القدامى لازالوا في الأسر وكانت الهدنة مع المسلمين تقضي بإرجاع جميع الأسرى وعدم إبقاء أحد منهم، فاعتبره ابن أبي عامر نقضا للاتفاق والعهد الذي بينهم فجهز جيشا لمهاجمة بلاد البشكنس وإنقاذ الأسرى، وعندما علم النصارى بذلك بادروا بإرسال الأسرى قبل أن يقتحم جيش المسلمين أرضهم طالبين العفو

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص256؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص548.

[2] نفسه، ص256.

والصفح لعدم علمهم بوجود هؤلاء الأسرى وقدموا بين يدي ابن أبي عامر هدم الكنيسة التي كان يحتجز فيها الأسرى تكفيراً عن فعلهم فقبل منهم ابن أبي عامر ذلك[1].

فبدون هذه الخدعة والأسلوب الذي اعتمده ابن أبي عامر كوسيلة للوقوف على أخبار بلاد الأعداء لما تمكن من تحرير أسرى المسلمين.

و . تتابع واستمرار الغزوات على بلاد النصارى:

خدعة و أسلوب قتال أراد منه ابن أبي عامر إرهاق النصارى وإشغالهم في أنفسهم وعدم إعطائهم فرصة لإعادة ترتيب صفوفهم وبناء قوتهم فيجعلهم طوال الوقت يعاودون بناء ما دمر وإصلاح ما تم تخريبه ويصبح كل همهم الدفاع عن أنفسهم يقول ابن سعيد المغربي: "وكان في أكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة[2] فبهذا الأسلوب تمكن ابن أبي عامر من تحقيق الانتصار دوما، ولم يهزم قط أمام المشركين[3] ، فبدون هذه الخدعة والحيلة ما كان لابن أبي عامر أن يحقق هذا الفوز والظفر على أعداء الله يقول ابن عذاري (نقلا عن الفتح بن حاقان): "وتمرس المنصور ببلاد الشرك أعظم تمرساً، ومحا من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس، وغادرهم صرعى البقاع، وتركهم أذل من وتد بقاع، ووالى علم بلادهم الوقائع، وسدد إلى أكبادهم سهام الفجائع، وأغص بالحمام أرواحهم، ونَغَّص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم[4].

وأشار ابن الأثير الى المنصور محمد بن أي عامر أن "من محاسن أعماله أنه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاب الدرب إليها وهو مضيق بين جبلين و أوغل في بلاد الفرنج يسبي ويخرب ويغنم فلما أراد الخروج رآهم قد سدوا الدروب، فأظهر أنه يريد المقام في بلادهم وشرع هو وعسكره في عمارة المساكن وزرع الغلات وأحضروا الحطب والميرة وما يحتاجون إليه، فلما رأوا عزمه على المقام مالوا إلى السلم فراسلوه في ترك الغنائم والجواز إلى بلاده فقال: أنا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم

---

(1) البيان المغرب، ج2، ص274.

(2) المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 199.

(3) المقري، نفح الطيب، ج1، ص400.

(4) البيان المغرب، ج1، ص274.

إلى الصلح فبذلوا له مالا و دوابا تحمل له ما غنمه من بلادهم فأجابهم إلى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز إلى بلاده[1].

ومن هنا يتضح لنا كيف تمكن من الجواز بجيشه إلى بلاده وتجنيبه خطر الإبادة في ذلك الطريق الضيق بالحيلة والمكر والخديعة حينما أوهمهم بأنه لا حاجة له في العودة إلى بلاده وإنه عازم على الإقامة في بلادهم وتوطين المسلمين فيها، فما كان منهم إلا أن فتحوا له الدرب وقدموا له أموالا ومتاعا من أجل أن يغادر بلادهم، ولو أنه لم يستخدم تلك الحيلة وقام بمهاجمتهم في تلك الشعاب الضيقة التي أعد له النصارى فيها الكمائن وأخذوا احتياطاتهم وجهزوا أنفسهم للانقضاض على جيش الإسلام لكان مصير الجيش الفناء.

ز . الرباط على مداخل المدن:

إرسال الفرسان الرباط في مداخل المدينة في أوقات غير معهودة الحركة فيها: حيلة وخدعة اتبعها ابن أبي عامر للوقوف على تحركات أعداء دولته يذكر ابن عذاري:"أن المنصور دعا في ليلة شديدة البرد والريح والمطر أحد الفرسان، وقال له: اذهب إلى طريق طليارش، وأقم فيه، فأول من يمر عليك احضره إلي، فذهب الفارس إلى الفج ورابط فيه حتى قريب الفجر، فمر عليه شيخ كبير على حمار له ومعه آلة الحطب، فقال له الفارس: إلى أين تذهب يا شيخ؟ فقال: وراء الحطب، فقال الفارس في نفسه: هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يطلب الحطب، فما عسي المنصور أن يريد منه؟ قال: فتركته فسار عني قليلا، ثم فكرت في قول المنصور وخشيت سطوته، فأوقفت الشيخ وقلت له: ارجع معي إلى مولانا المنصور. فقال: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي فقال له الفارس: لا أفعل، ثم قدم به على المنصور فطلب من حراسه أن يفتشوه فلم يجدوا معه شيئا، فقال: فتشوا بردعة حماره فوجدوا فيها كتابا من نصارى قرطبة يدلون فيها النصارى على عورات المدينة ويطلبون منهم الانقضاض عليها من مكان معلوم وفي وقت محدد، فلما انبلج الصبح، جاء بالنصارى وضرب أعناقهم جميعا ومعهم الشيخ[2]. وبذلك تمكن المنصور بهذه

---

[1] ابن الأثير ،الكامل، ج7، ص369.

[2] البيان المغرب، ج1، ص270.

الحيلة والخدعة أن يفشل مؤامرة كبيرة كان يراد منها إسقاط حكمه وتمزيق دولته، وهذا يدلنا على الأسلوب والطريقة التي كان يتبعها المنصور لمتابعة تحركات أعدائه والتي مكنته من الوقوف على معلومات قيمة، ربما لو نجح أعداؤه في تمريرها لكانت العاقبة وخيمة والآثار جسيمة.

ح . دعم قبيلة صنهاجة للمنصور أبي عامر في غزوة 373هـ/984م:

جاء إلى الأندلس جماعة من قبيلة صنهاجة في عام 373هـ/984م [1]، يريدون الغزو والجهاد في سبيل الله فأرسلهم ابن أبي عامر لغزو جليقية وأمدهم بالمال والسلاح والخيل وبعث معهم دليل، فعندما وصلوا أرض جليقية دخلوها ليلا وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من فيه وقطعوا أشجاره وفي الصباح وجدوا جماعة من النصارى فقتلوهم، فسمع بهم العدو فخرجوا في جيش كبير للقضاء عليهم فكمنوا في ربوة فلما جاوزها العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا مؤخرة الجيش وأخذوا في التكبير، فلما سمع العدو تكبيرهم ظن أن عددهم كبير فانهزموا وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم خلقا كثيرة وغنموا و عادوا إلى قرطبة سالمين[2].

يتبين لنا من خلال هذه المعركة العديد من الخدع التي استخدمها جيش صنهاجة للظفر والانتصار على الجلالقة والتي بدونها ما كان لهم أن ينتصروا على تلك القوة الكبيرة الجيش النصارى حيث تمثلت هذه الخدع في الآتي:

- دخول أرض جليقية ليلا ثم الكمين في بستان وذلك حتى لا ينكشف أمرهم ولا يشعر بهم عدوهم إذ أنهم لو دخلوا في النهار لانتبه لهم العدو ودخلوا معه في مواجهة غير محمودة العواقب؛ ثم الكمين وعدم التحرك في الليل، لأنه مخالف للعادة وأيضا يترتب عليه انكشاف أمرهم؛ ثم قتلهم لكل من كان في البستان حتى يضمنوا عدم تسريب خبر وجودهم في البستان؛ ثم قطع أشجار البستان؛ ليتأكدوا من عدم اختباء أحد بين الأشجار.

---

[1] صنهاجة، قبيلة مشهورة من حمير، انتقلوا مع زعيمهم إفريقس بن قيس، وتناسلوا هناك، واشتهر بهم جماعة كبيرة من المغاربة. ابن منصور، الأنساب، ج2، ص 560؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص59.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 413.

- الكمين وراء ربوة حينما لحق بهم جيش الجلالقة: خدعة أخرى استخدمها جيش صنهاجة وبعد تجاوز الربوة خرجوا لهم وانقضوا على مؤخرة الجيش الأمر الذي أحدث خللا واضحا في بنية جيش الجلالقة وإرباكا شديدا، ثم قيام الجيش بالتكبير أوهم العدو ضخامة الجيش الإسلامي مما أثار الفزع والرعب بين صفوفهم وبذلك تمكنت قوة صغيرة من الانتصار على جيش كبير بهذه الحيل والخدع التي كان لها أثر واضح في رجحان الكفة لصالح المسلمين.

3. وفاة المنصور وتولي إبنه عبد الملك الحجابة:

1.3. مرض المنصور ووفاته:

اختلفت المصادر حول مرض المنصور ووفاته ومن ذلك قول ابن عذاري: أن المنصور توفي في سنة (393هـ - 1003م) وبذلك يكون قد عاش 65 سنة و10 أشهر وتقلد الحجابة 25 سنة و44 يوما[1]ويرى المقري أن سبب موت المنصور هو مرضه الذي اشتد عليه في أواخر غزواته (392 هـ-1002م) والذي اختلف الأطباء في معرفة هذا المرض وطرق مداواته حيث يقول: "خرج المنصور لآخر غزواته ، وقد مرض المرض الذي مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه شارة وكان يحمل على أعناق الرجال، والعساكر تحف به وكان قد هجر الأطباء في تلك العلة لإختلافهم فيها[2] ، وحسب ما أكده الذهبي أن وفاته كانت بمدينة سالم سنة (393هـ-1003م)[3].

ويرى ابن بسام في كتابه الذخيرة أن المنصور خرج إلى الغزاة، وقد وقع في مرضه الذي مات منه في سنة (392-1002م) واقتحم أرض جليقية من قرب مدينة طليطلة ومرضه يخف وقتا ويثقل، ونفذ على عُمَل بني غومس، إلى أرض قشتالة بلد شانجه بن غرسيه فأحل الغارات بأقطاره فقويت

(1) ابن عذارى، المصدر السابق ، ج2 ،ص301.

(2)المقري، المصدر السابق،ج3،ص 93 ،94.

(3) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تح : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1،مج8 ، 2003 ، ص800.

عليه العلة هنالك، فاخذ له سرير من خشب، ووضع عليه أعضاءه وسوي مهاده متطاول الشكل يمكنه الاضطجاع عليه متى خارت قواه[1].

أيقن المنصور بقرب أجله فخلا بولده عبد الملك يوصيه ويودعه ويقبض على يده وكلما ذهب عنه استرده مستدركا بوصيته، وعبد الملك يبكي فينكر عليه فيقول: هذا أول العجز والفشل إلى أن قضى أمره مما بينه وبين عبد الملك، وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمان على العسكر إلى أن ينفذ حكمه فيه [2].

ويتضح من هذه الوصية او من وصية المنصور انه كان يخشى على دولته من بعده، لان اولاده ليسوا مؤهلين من بعده لإدارتها و الدفاع عليها من هجمات ملوك الاسبان النصارى.

ويذكر ابن عذاري أن المنصور ابن أبي عامر قد ترك من الأموال الكثير في مدينته الزاهرة والآلاف من الفرسان المرتزقين والبربر وأجناد الثغور ولله در القائل فيه:

آثارهُ تنبيكَ عن أخبارِهِ ... حتى كأنكَ بالعيونِ تراهُ

تالله ما ملكَ الجزيرةَ مثلهُ ... حقًا ولا قَاد الجيوشَ سواهُ[3].

وذكر أن هذين البيتين قد نقشا في رخامه على قبره- رحمه الله- وكانت عدة غزواته سبع وخمسين غزوة باشرها كلها بنفسه وهو في أكثرها يشكو علة النقرس[4] ، أما الكلمة التي أودعها الراهب المسيحي في حولياته فلم تكن اقل بيانا من هذين البيتين إذ يقول: فيها سنة (392-1002م) "مات المنصور وذهب إلى الجحيم" ولاشك أن هذه الكلمات البسيطة التي قالها الراهب دليل على كرههم للمنصور ورعبهم منه[5] ، ولتكون نهاية المنصور الذي ترك سجلا حافلا بالأحداث والوقائع فجعل المسلمين كتلة واحدة وبذلك لم يسمح للطامعين فرصة لاحتلالها، كما أنه جعل في

(1)ابن بسام، المصدر السابق، القسم الرابع ، ص54.

(2) ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، 197./ ابن بسام ، المصدر السابق،ص 57./ عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، المرجع السابق ،ص 334.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص301.

(4) هو داء المفاصل: يسمى أيضا بـ " داء الملوك والهلاك والداهية العظيمة " لأن حياتهم السابقة كانت أكل كثير وشرب كثير ونوم كثير وعدم حركة في جسم بدين، وهو أحد الاضطرابات التي تلحق بنظام التمثيل الغذائي.

(5)دوزي ، المرجع السابق ،ج2 ، ص146.

فترة حكمه الممالك النصرانية تعيش أصعب أيامها ووصلت إلى حد التفكك والتمزق فأخذت تطلب رضاه والراجح هنا أن موته كان فعلا سنة (392 هـ-1002م) لأنه فور موته خلفه ابنه المظفر وكان ذلك سنة (393هـ-1003 م)

وقد ذكر المقري أن الحاجب المنصور قد توفي في مدينة سالم في 27رمضان 392هـ/ 11 أغسطس 1002م ، ودفن في مدينة سالم بعد سبعة وعشرين عاما من حكمه قام في أثنائها بسبع وخمسين غزوة ، وكان عمره حين حضرته الوفاة أربعة وستون عاما[1].

وحين وصل خبر الوفاة إلى العاصمة قرطبة قام عبد الملك بإبلاغه إلى الخليفة الذي أقره على ما بيده من سلطان وأجراه على عادة أبيه وكتب له السجل بولاية الحجابة وبذلك تم الانتقال السليم للسلطة من المنصور إلى ابنه سيف الدولة بهدوء ووفق الأصول الشرعية، وعلى يد صاحب السلطة الأول هشام المؤيد، مما لم يترك المعارضي العامريين أية فرصة للتحرك[2] .

2.3. تولي ابنه عبد الملك الحجابة:

عندما توفي الحاجب المنصور سارع إبنه عبد الملك إلي قرطبة، ليصدر الخليفة هشام المؤيد بالله مرسوما بتوليته الحجابة بعد أبيه ، وكان الحاجب المنصور قد عهد له بالحجابة من بعده ، وبالتالي تولي عبد الملك الحجابة في يوم الإثنين 27 رمضان 392هـ[3] .

تمت له البيعة ونفذت كتبه إلى أنحاء المملكة بالأندلس والعدوة يخبر فيها بوفاة أبيه وتوليته أمور المملكة فأجمع أهل المملكة على طاعته واجتمع الناس على حبه[4] ، وبذلك تولى عبد الملك الحجابة بمقتضى وصية تركها له والده المنصور كانت دستورا له خلال فترة حكمه[5].

أخذ المظفر بوصية والده التي تعتبر وثيقة تاريخية ومصدر لأعماله وفي هذا الصدد يقول ابن حيان:" فيها تسجيل السياسة المنصور وخلاصة أعماله وهي تكاد تكون حسابا ختاميا يقدمه الرجل

---

(1) المقري ، المصدر السابق ، ص 64 65.

(2)محمد لبيب البتنوني، رحلة الأندلس،المكتبة الثقافية الدينية ، مصر، د ط ،1998، ص 93.

(3) إبن عذارى ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 297.

(4) ابن عذارى ، المصدر السابق،ج2 ،ص 297.

(5) ابن الخطيب ، أعمال الأعالم ،المصدر السابق ،ص.81

للتاريخ ونصيحة لإبنه ورسم للسياسة التي ينبغي أن يتبعها ابنه"[1]. (ينظر الملحق رقم 02) ولا بد من التأكيد على أن الحاجب عبد الملك كان عند حسن ظن أبيه وظن الناس فيه وأهلا للمهمة التي اختاره لها والده المنصور حيث سار منذ البداية على خطى أبيه ونفذ وصيته بحذافيرها ، فكان برا بالخليفة هشام محافظا على مكانته وهيبته قادرة على صيانة الأمن والنظام و الاهتمام بالجيش الذي ازداد على عهده قوة وفعالية بما انضم إليه بصورة متوالية من جموع البربر والصقالبة، وما لبثت أن عمت الأندلس موجة الاطمئنان والثقة بالمستقبل رافقها ازدهار اقتصادي كبير ظهرت آثاره في مختلف مجالات الحياة، فعم اليسر وكثر المال بين أيدي الناس وأقبلوا على أسباب الترف والبذخ بما لا حدود له، وبلغت الأندلس الحد الذي فاق التصور [2]، ويلاحظ أن المظفر على الصعيد الإداري أبقى على نظام الدولة وهيكلتها كما كانت في عهد والده ، كما تمسك بمن استخلصه أبوه من طبقات أهل المعرفة من مختلف خبراتهم في بلاط عبد الملك الذي برهن عن كونه خير حافظ لقيادة وسياسة والده[3].

وبدأ مباشرة عبد الملك في مزاولة أعماله تاركا أمر الإهتمام بالمنصور وتدبير شؤون دفنه لشقيقه عبد الرحمان وكان سن عبد الملك آنذاك 28 سنة وقد ورث عن أبيه ملكا واسعا مستقرا في الظاهر ولكنه في الحقيقة مهدد بالأخطار، لأنه رغم استصداره من الخليفة هشام مرسوما بتفويضه في الحكم كان هناك كثيرون في قرطبة ونواحي الأندلس يتربصون به[4] .

سار عبد الملك على سياسة والده الجهادية إذ أسندت إليه قيادة الجيش منذ أيام والده المنصور فقد ولي القيادة بدلا من فتاه واضح الصقلبي في المعركة التي دارت بين زيري بن عطية المغراوي والمنصور بن أبي عامر الذي بقي من بعيدا يراقب ابنه ليكون النصر حليفه[5]. وفي غزوه الدائم للأراضي النصرانية في الشمال حتى قيل عنه: (جري على سنن أبيه في السياسة والغزو، ولم يزل مثل

---

(1) ابن حيان ، المقتبس في أخبار أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، د.ط، د. د، القاهرة ،1994م،ص 12.

(2) ابن الخطيب ، أعمال الأعالم، المصدر السابق، ص85.

(3) سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخالفة في الأندلس (316 هـ -332هـ/928م-1030م)،د.ط، مكتبة الإسكندرية ، مصر، 1997 ، ص ص86 ، 87

(4) حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، المرجع السابق ، ص ص 88 ،89.

(5) ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ، د .ط ، قصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 106.

إسمه مظفر إلي أن مات سنة 399هـ في شهر محرم)[1]. وفي هذا الصدد يقول مؤلف مجهول : وكان المظفر برًا تقيا ، فاضلا طاهر الجنب ، سليما من العيب ، شجاعا ، وكان له سعد عظيم ، فغزا ثماني غزوات بعد موت أبيه[2] . (ينظر الملحق رقم 03)

لم يكتفي الحاجب عبد الملك المظفر بالله موادعة النصارى فقط ، بل بدأ يجهز الغزو نصاري الشمال ، وخرج الحاجب عبدالملك المظفر من الزاهرة بجنده في شعبان سنة 393هـ في مشهد مهيب، وسار بجيشه حتى وصل إلي مدينة سالم فأنضمت له قوات من قشتالة نزولا على ما كان بين قشتالة والمنصور من معاهدات ، ثم سار إلى برشلونة ودارت بينه وبين نصاري برشلونة حرب شديدة هزم فيها النصاري هزيمة نكراء ، وأستولي المسلمون على عدد من حصون برشلونة وهدموا حصونة أخري وغنموا وسبوا ، وعمل الحاجب المظفر بالله على إسكان المناطق المفتوحة بالمسلمين فنهي الجنود عن تدميرها وهدمها ، وأمر بنقل المسلمين لعمارة هذه الأرض وجعل لمن يسكنها منهم راتب شهرية يتقاضاه من بيت المال[3].

قضي الحاجب المظفر بالله عيد الفطر بأرض برشلونة وأحتفل مع رجاله وجنوده في بسائطها ، ثم أمر بإرسال رسالتين لتبشر بالفتح إحداهما إلي الخليفة هشام المؤيد بالله والثانية لتقرأ على المسلمين كافة في قرطبة ثم باقي الولايات[4].

جاء في الرسالة أن عدد الحصون التي أقتحمت عنوة ستة حصون ، وعدد الحصون التي أخلاها العدو 85 حصنا ، ثم أذن الحاجب المظفر للمتطوعين معه للجهاد بالعودة إلى ديارهم إذ أن الهدف الذي قد خرجوا من أجله قد إنتهي، فعاد المتطوعين إلى بلادهم مسرورين وفرحين بنصر الله[5] .

وفي سنة 394هـ إحتكم إلي الحاجب المظفر بالله قادة الممالك النصرانية وهذا يدل على قوة الدولة وهيبتها في عهد الحاجب المظفر ، إذ يقول إبن عذاري : (وأنتهي المظفر عند ملوك الأعاجم في دولته إلي منزلة عظيمة مثل منزلة والده المنصور ، وأحلوه محله في الإصغاء إليه والتعظيم له والهيبة

(1) المقري ،المصدر السابق، ج1 ، ص423.
(2) مؤلف مجهول ، مصدر السابق ، ص 236.
(3) إبن عذارى ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 297.
(4) إبن عذارى ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص300، 301.
(5) نفسه، ج 2 ، ص 301.

من سخطه والطلب المرضاته ، حتى صار أعاظمهم يحتكمون إليه في أي خلاف يشجر بينهم فيفصل الحكم فيهم ويرضون بما قضاه ويقفون عنده)[1].

توالت غزوات الحاجب المظفر بالله على أراضي إسبانيا النصرانية في الشمال وفي سنة 397هـ إتجه بجيشه إلي مملكة قشتالة ، فأتحدت جميع الممالك والقوي النصرانية ضده ودارت معركة عنيفة إنتصر فيها الجيش الإسلامي إنتصارا عظيمة وكان قد بلغ الأندلس خبر إتحاد الممالك النصرانية ضد جيش المسلمين فأشفقوا عليهم ، ولما ورد خبر إنتصار المسلمين فرحوا بذلك فرحا عظيما ، وعلى إثر هذه الغزوة تلقب عبدالملك بالحاجب المظفر بالله[2] .

وفي سنة 398هـ أعاد الحاجب المظفر الكرة مرة أخري لغزو قشتالة ، ودارت بينه وبين نصاري قشتالة معارك عنيفة إستمرت عدة أيام إنتهت بنصر عظيم للمسلمين وكانت هذه غزوته قبل الأخيرة، ثم خرج في نفس العام مرة أخري إلي قشتالة ولكنه مرض مرضا شديدا فتفرق عنه الكثير من الجنود المتطوعين وعاد إلى قرطبة[3] .

شعر الحاجب المظفر ببعض التحسن فبدأ يتأهب للغزو مرة أخري وخرج بالفعل في بداية سنة 399هـ متحام على نفسه يقصد قشتالة ، إلا أن الحركة قد أذته وزاد مرضه فلم يعد يستطيع الغزو ، فعادوا به محمولا وتوفي رحمه الله في الطريق إلى قرطبة في صفر سنة 399هـ[4].

(1)نفسه ، ج 2 ، ص 302./ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق4 ، مج1، ص 85./ ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص 78.

(2) إبن عذارى ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 305.

(3) إبن عذارى ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 310.

(4) إبن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 89.

4. تولي ابنه عبد الرحمان الحجابة ونهاية الدولة العامرية:

1.4. تولي ابنه عبد الرحمان الحجابة:

كانت وفاة عبد الملك المظفر، فاتحة لفترة من أعجب فترات التاريخ الأندلسي وأكثرها غموضا واضطرابا، وكانت تنذر بانقلاب من اعنف ما عرفت الأندلس إذ جاء عبد الرحمن بن المنصور وتميز بضعف شخصيته وسوء طباعه، ليتابع حكم الأسرة العامرية[1]. يصفه ابن كردبوس: "عامل خالقه بالكذب والفجور، وعاشر الأجناد والرعايا أسوأ معاشرة ، وعكف على المعاصي وشرب الخمر مجاهرة ونصر الباطل ...وأذل أهل الشرف ورفع كل وغد أحمق"[2]، هو عبدالرحمن (شنجول) بن المنصور محمد بن أبي عامر ، وأطلق عليه لقب شنجول من قبل سكان الأندلس، ومعناه (أحمق)[3] ، وقيل أن أمه[4] أطلقت عليه هذا الإسم تمينا بإسم أبيها سانشو ملك نافار[5] وقد تولى عبدالرحمن الحجابة للخليفة الأموي هشام المؤيد بالله بعد وفاة أخيه عبد الملك المظفر ، وجري على سنن أبيه وأخيه في حجره على الخليفة هشام والإستبداد عليه ، والإستقلال بالملك دونه[6].

وكان شنجول هذا حين صارت إليه حجابة الأندلس ومعها كل ارث والده المنصور، شابا لم يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر وكان معروفة منذ البداية للجميع بأنه يفتقر للكثير مما كان لأبيه وأخيه من ذكاء ومهارة وكفاءة، كان جاهلا غبية مغرورة بنفسه وبقدراته ويفتقر للحكمة والإتزان، أغضب أهل قرطبة وأنفر علماءها وفقهائها من شخصه منذ أيامه الأولى في الحكم [7].

---

(1) محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 622.

(2) ابن كردبوس ، المصدر السابق ، ص 6.

(3) ابن كردبوس ، المصدر السابق ، ص 99.

(4) إسمها عبده وهي بنت سانشو بن غرسيه ، إعتنقت الإسلام وتزوجها المنصور فأنجبت له عبدالرحمن وأطلقت عليه إسم سانشيلو وهو تصغير لسانشو جده لأمه ملك نافار ، وكان عبدالرحمن شديد الشبه بجده . إبن عذاري ، المصدر السابق ج3، ص38.

(5) نفس المصدر ، ص 38.

(6) المقري ، المصدر السابق ، ج1، ص424.

(7) ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1، ص 301.

وكان أهل قرطبة يبغضونه ويحتقرونه لانغماسه في المجون وشرب الخمور فأنكر الناس عليه إنكارا شديدا [1]. وجلس على كرسي السلطة بعد وفاة أخيه عبد الملك بقصر الزاهرة كما يجلس خليفة العرش في (صفر 399 هـ - أكتوبر 1009 م)[2] .

وما انقضت عشرة أيام على حكمه حتى طلب من الخليفة هشام المؤيد أن يمنحه لقب "المأمون" فتجرأ على إصدار خطة لتسميته بالمأمون فكان يدعى بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة وساء تصرفه وأخذ يلتمس ولاية عهد هشام المؤيد، والقيام بأمور المسلمين من بعد هشام وقد عمل عبد الرحمان شنجول مثل أبيه في الحجر على الخلفية، ولكن نهج في معاملته نهجا جديدا إذ كان أكثر اتصالا به وتقربا منه وبالغ في إرضاء حاشيته وتحقيق رغباته [3]، وبذلك كانت لشنجول الألقاب التي أرادها ، ليبدأ في مشروعه الأكبر وهو ولاية العهد، فبعد شهر ونصف فقط من توليه الحجابة دس إلى المؤيد من يخوفه منه إن لم يجعله ولي عهده[4] ، وأن يتسمي بولي عهد المسلمين ، ففعل له الخليفة هشام المؤيد بالله ما أراده لضعفه وسوء نظره ونقصان فطرته ، فولاه العهد وكان ذلك في ربيع الأول من سنة 399هـ / 1008م [5].

ونتيجة لما سبق أحضر الخليفة هشام المؤيد بالله أرباب الشوري و أهل الحل والعقد وأمام هؤلاء وغيرهم ممن إحتشدوا في يوم تولية عبدالرحمن شنجول ولاية العهد وكتب كاتب الرسائل : (هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلي الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة ، بعد أن أمعن النظر وأطال الإستخارة وبعد أن قطع الأواصر وأسخط الأقارب ، فلم يجد أحدا أجدر أن يوليه عهده ويفوض إليه الخلافة بعده ، بفضل نفسه وكرم خيمه ، وشرف مرتبته، وعلو منصبه ، مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب ، الناصح الجيب أبا المطرف عبدالرحمن إبن المنصور محمد

(1) حمدي عبد المنعم حسين ، دراسات في تاريخ الأندلسي، د.ط، مؤسسة الشباب الجامعية ، الإسكندرية ، 1990، ص 25.

(2) محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص622.

(3) المرجع نفسه ، ص 625.

(4) إبن الأثير ، المصدر السابق ، ص 84.

(5) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص323.

بن أبي عامر وفقه الله)[1]. ، وقد تولى العهد دون أن يكون قد قدم للمسلمين خدمة تبرز ذلك أو دون أن يكون قد أقام للأندلس أمرا جلي، لهذا أنكر الناس على عبد الرحمان فعلته التي لا مبرر لها ونفروا منه ومن الخليفة هشام المؤيد لكونه سمح بها واعتبروا ذلك ضربة من التهور والجرأة على ألقاب لها حرمتها وقدسيتها، والأندلسيون ذكروا دوما أن أخاه عبد الملك ما حمل من قبل لقب "المظفر" إلا بعد سنوات عديدة في الحكم أظهر فيها من الكفاءة والمقدرة في إدارة شؤون الدولة والأندلس، كما في ساحات القتال والدفاع عن حدود دولة الإسلام في اسبانيا المسيحية، ما جعله أهلا لكل تكريم ومحلا لكل احترام[2]، ولم ينس عبد الرحمن شنجول وهو يستولي على ولاية العهد لنفسه أن يسوق إلى ابنه عبد العزيز خطة الحجابة مشفوعة بلقب "سيف الدولة"، وهو لقب عمه عبد الملك، وبذلك اعتبر أنه قد نال المبتغى وحصل على كل السلطان شكلا ومضمونة، فأنفذ الكتب عنه إلى سائر أقطار الأندلس والعدوة يخبر بولاية عهده ويأمر بالدعاء له على منابر مساجد المسلمين بعد الدعاء للخليفة[3].

وقيل عبد الرحمن شنجول عندما حصل على ولاية العهد : (قد أخذ في نشر الخبر على الملأ متباهية ، وأشاع في الناس أن الخليفة ولاه عهده صراحة ، وأختاره للخلافة دون بني عمه وأهله ، إذ ليس له ولد يؤمل خلافته ، فتلقفها منه أصحابه وخدمه لوقتهم فطاروا بها كل مطار ، و غبطوه بأخذها وشد اليد عليها ، وهذا الفرح الغامر الذي شعر به أصحاب عبد الرحمن كان سببه أنهم وجدوا فيه نجاتهم ممن كانوا يخافونه في بني أمية في أواخر دهرهم) [4].

وفي الوقت نفسه إجتمع حول محمد بن هشام بن عبد الجبار[5] نفر من الأمراء الأمويين والناصريين بصورة خاصة، بايعوه على الزعامة والقيادة وحملوا رايته وصاروا ينشرون دعوته سرا بين

(1) ابن اخطيب ، المصدر السابق ، 91.

(2) ابن خلقان الفتحت بن محمد، مطمع الأنفس ومسرح التآنس في مدح أهل الأندلس ،مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، ص112.

(3) أبي الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت ، ط2، ج3، 1979 ، ص 63.

(4) إبن عذاري ، المصدر السابق ،ج2، ص 326.

(5) بن عبد الرحمان الناصر لقب بالمهدي بالله كنيته أبو الوليد أمه اسم ولد اسمها مزنة ولقبته العامة المنقش لهشاشته(أنظر: ابن عذارى ، ج 2، ص 333).

الناس وبسرعة مدهشة تكاثر الناس حوله يبايعونه خفية، وتجمع حوله خلق كثير بصورة خاصة من رعاع قرطبة ومن المغامرين والمجرمين والأرذال إذ كان هو أصلا من معدنهم وما عاشر ولا خالط في حياته غير هذه الطبقة من الناس[1] الذي اتخذ له مقرأ في سفح جبل قرطبة خارج العاصمة، يلتقي أتباعه فيه بعيدا عن العيون والأرصاد وبفضل دعم مالي مستمر من الذلفاء، إذ كانت هذه المرأة تملك ثروة ضخمة تركها لها زوجها المنصور العامري، أودعتها مكانة آمنة في قرطبة[2]، هذه المرأة في الأساس كانت تحمل في أعماقها كرها شديدة لعبد الرحمان وتحقد عليه لما كان شائعة ولما كانت تعتقد من أنه هو الذي أقدم على دس السم لابنها المظفر واغتياله لأخذ منصب الحجابة منه فاستغلت موجة العداء المتصاعد من الأندلسيين بوجه عبد الرحمان، واتصلت بأحفاد الناصر وحرضتهم على استعادة حقهم المسلوب، ومنهم محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر الذي كان يحمل في أعماقه حقدا كبيرة للعامريين[3].

2.4. غزوة عبد الرحمان شنجول الفاشلة:

قرّر عبد الرحمان شنجول القيام بغزوة تُحسب وتُسجل باسمه وحتى يشغل الناس عن الحديث عن أعماله السابقة التي تدل على عدم خبرته وسوء تصرفه فقرر أن يخرج في غزوته الأولى إلى أراضي الشمال الإسباني يرد على غارات بادر بها على مناطق الثغور الإسلامية سانشوا غريسه سيد قشتالة ،لكن ناصح كبير الفتيان الصقالبة حذره لأن الأوضاع كانت مضطربة بقرطبة لكنه لم يستمع له وقال له مستهزأ : "والله لو اجتمع بنو مروان على مرقدي وأنا نائم ما أيقظوني" [4] ، وأمر بالخروج الى الغزو كان خروجه من قرطبة في جمادى الأولى سنة (399 هـ- جانفي 1009م) وعهد بإدارة الحكومة في فترة غيابه لابن عمه عبد الله بن أبي عامر المعروف بعسقلاجة [5]، وكان ذلك في فصل الشتاء ورغم تحذير قادة الجند من عواقب هذه الحملة ، ولكنه أصرّ عليها رغم خطورتها. ووصل الى

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص94.

(2) الثعالبي عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح:محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،ج2، 1973، ص168.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص94.

(4) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 331.

(5) محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 628.

جليقية لكنه لم يحقق أي نصر بسبب البرودة الشديدة في تلك المناطق وبذلك باءت هذه الغزوة بالفشل نتيجة لهبوب العواصف والرياح والثلوج [1]وقد اضطربت البلاد في زمنه ويعتبر عهده هو عهد الفتن والإنقلابات وذلك منذ توليه الحجابة يوم وفاة أخيه عبد الملك مستمدا حقه فيها من ولاء جيش أبيه[2] وبدأت عملية التفكك بوادر السقوط حيث كان أول من انصرف عنه القواد من المغاربة من جموع الزناتة وصنهاجة، وتولى بعد ذلك رؤساء القبائل البربرية في الانسحاب من صفوفه ، ولحق الجميع بالخليفة الجديد ، فلم يبقى معه إلا خمسين فارسًا[3] .

3.4. مقتل عبدالرحمن شنجول ونهاية الدولة الأموية :

بدأ الأمويون وعلى رأسهم محمد بن هشام بن عبدالجبار يخططون للقضاء على عبدالرحمن شنجول وإستعادة نفوذهم ، في وقت كان فيه غائبا عن قرطبة لغزو أراضي جليقية ، وكان ذلك بمساعدة الذلفاء أم عبد الملك شقيق شنجول والتي إتهمته بأنه هو الذي قتل إبنها عبدالملك بدس السم له ، فحقدت عليه وسعت لحتفه ولذلك سخرت رجلا من الصقالبة كان موالية للأمويين ، فأنتدبته الذلفاء لدعوة الأمويين إلي إرجاع دولتهم ، وأن من ينجح بهذه المهمة تقدم له المعونة من أجل أخذ الثأر المقتل إبنها من عبدالرحمن شنجول[4].

إتصل الصقلبي بالأمويين فأرشدوه إلي محمد بن هشام بن عبدالجبار الذي كان عبدالملك المظفر قد قتل والده ، وكان محمد بن هشام يرغب في هذا الأمر منذ مقتل أبيه ، وكان بنو أمية يتبعونه ويأملون عليه فجمع محمد بن هشام الأمويين وأستعان بهم ، وكانت كلمتهم في بعض العمريين متفقة وبايعوا محمد سرا ، وأستمال لهم عددا كبيرا من أهل قرطبة وبايعوه[5].

كانت الدعوة للتخلص من عبدالرحمن شنجول تنتشر في قرطبة ، وأصبحت الأحداث تتفاعل فيها ، بينما كان شنجول في جليقية يقود غزوة لحرب النصاري ومع ذلك أوغل في بلاد الجلالقة فلم

---

(1) عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 89.

(2) أحمد فكري ،قرطبة في العصر الإسلامي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1883 ، ص125.

(3) ابن عذارى ، بيان المغرب ، ص 332.

(4) محمد عبده حتامله ، الأندلس التاريخ الحضارة والمنحة ، ص423.

(5) محمد عبده حتامله ، الأندلس التاريخ الحضارة والمنحة ، ص423.

يقدم ملكها على لقائه وتحصن منه في رؤوس الجبال ، ولم يستطع عبدالرحمن اللحاق به لزيادة الأنهار وكثرة الثلوج[1].

قوي أمر محمد بن هشام في قرطبة وكثر أتباعه ، فأستغل محمد بن هشام غياب شنجول فقوي أمره في قرطبة وكثر أتباعه وأستولي على قصره في قرطبة في جمادي الأولى 399هـ / 1008م ، كما أمر بكسر باب سجن العامة، فأنطلق جميع من كان فيه من لصوص وأصحاب جرائم ، وسارعوا إلى محمد بن هشام فأستعان بهم وتداعى بنو أمية إلي نصره ، وأستنهضوا الناس لمعونته وكان له ذلك عندما لبوا دعوته[2].

كان الخليفة هشام المؤيد بالله في ذلك الوقت في قصره ، وقد أمر بإغلاق أبواب القصر عليه ، ثم إرتقي إلي سطحٍ مرتفع وأشرف على العامة ، وأشار إلي من تحته من العامة بالسكوت ، فصاحوا به لا حاجة لنا بك وليس الملك من شأنك وهذا أولي به منك (يعنون محمد بن هشام بن عبدالجبار) فلما سمع ذلك منهم ولى منصرفًا إلي داره ، وأمر خدمه أن لا يقاتلوا أحدا منهم ولا يرموا بسهم ولا بحجر عليهم حتى يقضي الله قضائه[3].

هاجم محمد بن عبد الجبار قصر الخليفة هشام المؤيد بالله ، وكان حرسه يتقهقرون أمام المهاجمين، ولم يخف أحد من أهل الزاهرة لنجدة الخليفة الذي بادر عندئذ إلى مراسلة محمد بن هشام يسأله الكف عنه على أن يعينه وبني عمه على ما نقموا عليه ، ويبعد آل عامر عنه ويقلده عهده ويشركه في أمره ، غير أن محمد إبن هشام رفض هذا العرض ، وأبي إلا أن يدخل القصر بعد أن يخليه الخليفة ففعل ، ودخل محمد بن هشام بن عبدالجبار القصر[4].

لم يسئ محمد بن هشام إلي هشام المؤيد بالله ، وإنما أسند حفظه إلي إبن عمه المغيرة فأجلسه بكرسي الشرطة على بابه ، فقام له بذلك واصلح أمره ، وأمسك محمد بن هشام بزمام الأمور ، ولم

---

(1) المقري ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 426.

(2) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 337.

(3) محمد عبده حتامله ، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة ، ص 425.

(4) إبن عذاري ، البيان المغرب ، ج 3 ، ص 338.

يبقى سوي القيام بالمراسم المعهودة لكي يتسلم الخلافة رسمية من الخليفة الشرعي الذي يتم تلك المراسم[1].

تقدم إلى هشام المؤيد بالله كبير أهل قرطبة ابو عمر بن عبدالملك ومعه رجل من نظرائه ليسمعا منه خلعه لنفسه ، ويأخذا ببيعة إبن عمه محمد بن هشام ، فأقر لهما هشام المؤيد بالله بالخلع ، واقر لمحمد بن هشام البيعة ، وهكذا تم خلع هشام المؤيد بالله وتنصيب محمد بن هشام بن عبدالجبار خليفة، وسمي نفسه بالمهدي إختيارا من عنده[2].

تولي المهدي الخلافة في جمادي الآخرة سنة 399هـ / 1008م ، وبايعه خلق كثير ، ولما إستقر له الأمر أرسل إبن عمه عبدالجبار بن المغيرة للسيطرة على مدينة الزاهرة ، وحاربت قوات عبدالجبار بن المغيرة القوات الموالية لعبدالرحمن شنجول من أهل الزاهرة فأستسلموا بعد أن كثر فيهم القتل والسلب والنهب في أموالهم وشمل هذا الذلفاء أم عبدالملك المظفر التي ساعدت المهدي من قبل للوصول للخلافة ، فأخذوا من أمتعتها ما أرادوا[3].

ثم قامت قوات عبدالجبار بن المغيرة بتدمير وتخريب مدينة الزاهرة وحدث كل ذلك و عبد الرحمن شنجول في غزوته بجليقية ، وقد صعق عندما وردته أخبار قرطبة وجزع لذلك[4].

دعى عبدالرحمن شنجول جنده وأنصاره من البربر لمبايعته على حرب أهل قرطبة ، فأوهموه بأنهم إلى جانبه ، وأن إستعدادهم كامل للتضحية من أجله ، فسار في هذه الجموع حتى وصل إلى أحد قصوره بالقرب من قرطبة ليلاً فلما بات إنفض عنه عامة البربر ودخلوا قرطبة ، فلم يبقي مع عبدالرحمن إلا نفرٌ من غلمانه وهكذا تخلي البربر عن عبد الرحمن شنجول وقد كانوا يمثلون القوة الرئيسية في الجيش ووجد عبدالرحمن نفسه دون معين فتبرأ من ولاية العهد واستعطف الناس لينهضوا معه لإعادة الخلافة إلي هشام المؤيد بالله إلا أنه لم يصغي إليه أحد[5].

---

(1) محمد عبده حتامله ، الأندلس التاريخ والحضارة والمنحة ، ص 425.

(2) نفس المرجع ، ص 426.

(3) إبن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 341-342.

(4) محمد عبده حتامله ، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة ، ص 426.

(5) محمد عبده حتاملة ، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة ، ص 427.

إقترب عبدالرحمن شنجول من قرطبة ، ودخل إلي قصره في أرملاط فأخذ يودع نسائه والصراخ يتبعه محاولا الهروب إلى بلاد النصاري ، غير أن المهدي أرسل من يقبض عليه ويقتله ، ثم حملت جثته إلي قرطبة ، وتم صلبه على أحد أبواب قرطبة.[1]

وبمقتل عبد الرحمن شنجول سنة 399هـ ، إنتهت الدولة العامرية التي إستطاعت السيطرة على الحجابة لمدة طويلة من الزمن ، إرتقت من خلالها منزلتهم مما أغراهم بالتطاول على الخلافة الأموية ومحاولة الإستيلاء عليها[2].

ونستخلص مما سبق أن المنصور قد وصل إلى مرتبة من السلطان والقوة لم يصل إليها أحد قبله من أعاظم أمراء الأندلس، وأهمها من النواحي العسكرية، فقد بلغت غزواته سبعة وخمسين غزوة كللت كلها بالإنتصار، وأن عهده كان لايقل لمعانا وتألقا على عهد الناصر من تفوقٍ عظيمٍ في السلطانِ والقوَى العسكرية في شبه الجزيرة الإسبانية.

وقد وصلت الممالك الإسبانية في عهده إلى حالة يرثى لها من التفكك والضعف بعد أن تلقت ضربات المسلمين الساحقة والمتوالية، وذلك مع وصول المنصور في غزواته إلى مواطن لم يبلغها فاتح مسلم من قبل، ولجأ إلى رفع راية الجهاد ولتأديب النصارى، وأنزل بهم الخسائر وأنذرهم بأوخم العواقب أن فكروا بمهاجمة البلاد، وكما كان في كل مرة يعود محملا بالغنائم، حتى دانت له البلاد الإسبانية فتعلقت قلوب الرعية بهذا البطل، وقد سلك عبد الملك درب أبيه في السياسة التي انتهجها، على خلاف أخيه عبد الرحمان شنجول الذي أدى بسياسته إلى انهيار وزوال الدولة العامرية.

(1) إبن الكردبوس ، المصدر السابق ، ج 2، ص 68.

(2) نفسه ، ص 68.

خاتمة

في الأخير نستخلص من بحثنا هذا أن محمد بن أبي عامر المنصور شخصية قوية ومحنكة سياسياً، ومن خلال دراستنا تبين لنا أن تسلطه على الحكم كان له سلبيات و ايجابيات، فرغم تسلط الحجّاب العامريين على مقاليد الحكم و حجرهم على الخليفة، إلا انه في الوقت نفسه لو لم يقدر للأندلس وجود رجل مثله على رأس السلطة في ذلك الوقت لكانت الأندلس فقدت وحدتها السياسية التي عمل الخليفة عبد الرحمن الناصر على إعادة بنائها و تماسكها بعد جهد كبير، فالمنصور بن أبي عامر كان له الفضل في الحفاظ على وحدة و كيان الدولة، بل و أضفى على هذا الكيان قوة ودفعا لما يتمتع به من خصال و صفات في رجل الأندلس الناجح .

استطاع أن يقوي نفوذه ويدعم أسس سلطته للتقرب من الخليفة هشام المؤيد بالله، واكتساب ثقة أكابر رجال الدولة والوزراء، إضافة إلى كسب ود الناس واستمالة البربر إليه ، وانتصاراته في معظم غزواته ضد المماليك النصرانية، جعلته ذا قدر وشأن كبيرين عند العامة و الخاصة من الأندلسيين، هذا ما جعل من مدة حكمه تطول مقارنة مع ابنه عبد الملك المظفر الذي سار على درب أبيه في تسيير أمور دولته، والذي حكمها لمدة ثماني سنوات، حيث عمل على تنفيذ وصية أبيه إلى غاية وفاته ليخلفه أخوه عبد الرحمن شنجول، الذي لم تدم فترة حكمه سوى أربعة أشهر فقط نظرا لتدهور وسوء سياسته .

لقد كان لمحمد بن أبي عامر الدور الكبير في تمديد الحكم الأموي في الأندلس، إذ لولاه لكان للخلافة الأموية في الأندلس شأن آخر، فعند تولي هشام ابن المستنصر بالله الخلافة وهو صغير في السن تعرض الأطماع الصقالبة وذوي النفوذ على غرار العدو النصراني المسيحي، فلم يكن محمد بن أبي عامر إلا منقذا له وإن كان له طموح وأطماع في ذلك.

– لا أحد ينكر ما آلت إليه الأندلس في ظل الحكم العامري من عزة وكرامة وجعل الممالك المسيحية خاضعة تحت سلطانهم بإذن الله ثم لسيف ابن أبي عامر ، وأن المسلمين فرضوا سيطرتهم في تلك البقعة بفضله وبفضل سياسته العسكرية المحكمة والجدية وكان للمسلمين في عهده شأن عظيم وطاب لهم العيش والأمن في الأندلس رغم سخط بعض الناس عليه لاغتصابه مكانا ليس من حقه

– بتولية هشام المؤيد بالله الخلافة ظهرت مراكز قوي تتصارع على السلطة وتطمع في الإلتفاف حول الخليفة لتتمكن من تولى السلطة من خلال دعمه لها.

– أزال الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر هيبة الخلافة بحجره الخليفة هشام المؤيد بالله.

– حافظ الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر على وحدة وكيان الأندلس.

– نقل الحاجب المنصور الأندلس من وضع الدفاع إلى الهجوم على الممالك الأسبانية النصرانية.

– لم يستطع الحاجب المنصور إزالة الممالك الإسبانية النصرانية نهائيا.

– كانت السياسة التي انتهجها عبد الرحمن بن المنصور هي السبب الرئيسي في سقوط الدولة العامرية في الأندلس.

الملاحق

"الملحق رقم 01"

جدول بغزوات المنصور محمد بن أبي عامر، على ممالك الشمال،

منذ سنة 366هـ / 976م حتى سنة 392هـ / 1002م،

مرتبةً حسب ما ورد في كتاب ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، من الصفحة 226 حتى 235.

الغزوة	الاسم	التاريخ
الأولى	الحامة	366هـ/976م
الثانية	مولة	366هـ/976م
الثالثة	شلمنقة	367هـ/977م
الرابعة	الغابرة	367هـ/977م
الخامسة	لطشمة الأولى	368هـ/978م
السادسة	لطشمة الثانية	368هـ/978م
السابعة	شنت بليق	369هـ/979م
الثامنة	الغدر أو الجزيرة	369هـ/979م
التاسعة	المنية	370هـ/970م
العاشرة	قنيلش أو قلبليش	370هـ/970م
الحادية عشرة	المعافر	370هـ/970م
الثانية عشرة	النصر	370هـ/970م

الثالثة عشرة	سمورة الأولى	371هـ/981م
الرابعة عشرة	طرنكوشة	371هـ/981م
الخامسة عشرة	الثلاث أمم أوقشتاليا	371هـ/981م وبداية 372هـ/982م
السادسة عشرة	ليون الأولى	372هـ/982م
السابعة عشرة	شنت منكش	373هـ/983م
الثامنة عشرة	شلمنقة	373هـ/983م
التاسعة عشرة	شقرمنية	373هـ/983م
العشرون	سمورة الثانية	373هـ/983م
الحادية والعشرون	شنت بليق الثانية	374هـ/984م
الثانية والعشرون	برشلونة	374هـ984م
الثالثة والعشرون	الخضراء	375هـ/985م
الرابعة والعشرون	سمورة	
الخامسة والعشرون	المدائن	376هـ/986م
السادسة والعشرون	قندياشة أو قندبخشة	376هـ/986م
السابعة والعشرون	قلميرة الأولى	376هـ/986م
الثامنة والعشرون	قلميرة الثانية	377هـ/987م
التاسعة والعشرون	بربيل	

الثلاثون	سمورة	
الحادية والثلاثون	أشتورقة	
الثانية والثلاثون	برتيل	
الثالثة والثلاثون	الطورة	
الرابعة والثلاثون	وخشمة	379هـ/989م
الخامسة والثلاثون	منتمورة	
السادسة والثلاثون	بونش وتاجرة	382هـ/992م
السابعة والثلاثون	غاليش	
الثامنة والثلاثون	المراكب	
التاسعة والثلاثون	شنت أشتبين	384هـ/994م
الأربعون	الأغار	384هـ/994م
الحادية والأربعون	شانت أشتبين	385هـ/995م
الثانية والأربعون	أشتورقة	
الثالثة والأربعون	قشتالية	
الرابعة والأربعون	بطريسة	
الخامسة والأربعون	شانت رومان	
السادسة والأربعون	غليسية	

السابعة والأربعون	أشتورقة	
الثامنة والأربعون	شانت ياقب	387هـ/997م
التاسعة والأربعون	الجزيرة	
الخمسون	يلياريش	
الحادية والخمسون	بنبلونة	
الثانية والخمسون	جربيرة	390هـ/999م
الثالثة والخمسون	منتيمور	390هـ/999م
الرابعة والخمسون	بنبلونة	391هـ/1001م
الخامسة والخمسون	بايش	
السادسة والخمسون	بطربوش	392هـ / 1002م

"ملحق رقم(02)"

وصية المنصور لابنه عبد الملك[1]

((يا بني، لست تجد أنصح لك مني فلا تدعن مشورتي، فقد جردت لك رأي و رؤيتي على حين اجتماع من ذهني. فاجعلها مثالا بين يدك. قد وطأت لك مهاد الدولة، وعدلت لك طبقات أوليائها، وغايرت لك بين دخل المملكة وخرجها واستكثرت لك من أطعمتها وعددها، وخلفت جباية تزيد على ما ينوبك لجيشك ونفقتك، فلا تطلق يدك في الإنفاق، ولا تقيض لظلمة العمال، فيختل أمرك سريعاً، فكل سرف راجع إلى اختلال لا محالة. فاقصد في أمرك جهدك واستثبت فيما يرفع أهل السعاية إليك. والرعية قد استقصبت لك تقويمها و أعظم منها أن تأمن البادرة وتسكن إلى لين الجنبة. وصاحب القصر قد علمت مذهبه،وأنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه والآفة، ممن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه، فلا تنم عن هذه الطائفة جملة، ولا ترفع عنها سوء ظن وتهمة، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة، مع قيامك بأسباب صاحب القصر على أتم وجه، فليس لك ولا لأصحابك شيء يقيكم الحنث في يمين البيعة إلا ما تقيمه لوليها، من هذه النفقة. فأما الانفراد بالتدبير دونه مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه، فإني أرجو أني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة. والمال المخزون عند والدتك، هو ذخيرة مملكتك، وعدة لحاجة تنزل بك، فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لا تبذلها إلا عند الشدة تخاف منها على سائر جسدك .ومادة الخراج غير منقطعة عنك بالحالة المعتدلة. وأخوك عبد الرحمن قد صيرت إليه في حياتي ما رجوت إني خرجت له فيه عن حقه من ميراثي، وأخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجد العدو مساغاً بينكما في خلاف وصيتي فيسرع ذلك في نقض أمر، ويجلب الفاقرة على دولتي وقد كفيتك الحيرة فيه فاكفه الحيف منك، وكذلك سائر أهلك فيما صنعت فيهم بحسب ما قدرت به خلاصي من مال الله الذي في يدي، وخلافتك بعدي أجدى عليهم مما صرفته، فلا تضيع أمر جميعهم وألحظهم بعيني فإنك أبوهم بعدي. فخرج ذكورهم باستخدامك، والحف إناثهم جناحك، جبر الله جماعتهم وأحسن الخلافة عليكم. وإن انقادت لك الأمور بالحضرة فهذا وجه العمل، وسبيل السيرة، وإن اعتاصت عليك فلا تلقين بيدك إلقاء الأمة، ولا تنظر بك وأصحابك السلامة فتنسواْ ما لكم في نفوس بني أمية وشيعتهم بقرطبة، فإن قاومت من توثب عليك منهم فلا تذهل عن الحزم فيهم، وإن خفت الضعف فانتبذ بخاصتك وغلمانك إلى بعض الأطراف التي حصنتها لك. واختبر غدك إن أنكرت يومك. وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك، فاني أعرف ذنبي إليهم)).

(1) ابن بسام: الذخيرة، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ص:56 -57.

"الملحق رقم 03"

جدول بغزوات المظفر عبد الملك بن أبي عامر ،

منذ سنة 393هـ / 1002م حتى سنة 398هـ / 1007م.

الغزوة	البلاد	السنة
الأولى	بلاد الفرنج	393هـ/1002م
الثانية	غاليسيا	394هـ/1003م
الثالثة	جليقية	395هـ/1004م
الرابعة	بنبلونة	396هـ/1005م
الخامسة	قولونية	397هـ/1006م
السادسة	شانت مرتين	398هـ/1007م
السابعة	العلة	398هـ/1007م

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. **ابن أبي الزرع** ، أبو الحسن بن عبد الله (ت 741 هـ/ 1340م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، دار المنصور الرباط ، 1972م.
2. **ابن أبي زرع** ،**الأنيس المطرب** ، د ط ، قصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972م .
3. **ابن الأبار** محمد بن عبد الله القضاعي(ت 658هـ-1260م) ، **الحلة السيراء** ، تح، حسين مؤنس ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة، ج1، 1963م.
4. **ابن الأثير** عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي كرم الجزري (ت630هـ – 1233م) **الكامل في تاريخ** ج 7 ، مج 9 ، ط4 ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ،2003م.
5. **ابن الخطيب** لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776هـ 1374م)، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ،تر، ليفي بروفنسال ، س.ج كوالن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ،ج1، 1956 م.
6. **ابن الخطيب**، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح، عبد الله العنان، ج1 ، مج2، الشركة المصرية للنشر والتوزيع، 1974.
7. **ابن الكردبوس** أبو مروان عبد الملك بن القاسم (توفي أواخر القرن السادس هجري)، **الاكتفاء في تاريخ الخلفاء**، تح، صالح بن عبد الله الغامدي ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط1 ، ج2، 2008م.
8. **ابن بسام**، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**،دار الرب الإسلامي،بيروت ، لبنان، 1981، ق4 ،مج1.
9. **ابن حوقل** أبي القاسم محمد بن علي النصيبي (ت367هـ /977 م)، **صورة الأرض** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.

10. **ابن حيان** أبو مروان حيان ابن خلف بن حيان القرطبي (ت 469هـ/ 1076م) ، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** ، تحقيق عبد الرحمان علي حجي، منشورات أنطونيه ، دار الثقافة بيروت ، 1983م .

11. **الفتح ابن خاقان** محمد بن عبد الله (ت528)، **مطمع الأنفس ومسرح التآنس في ملح أهل الأندلس** ،مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1.

12. **ابن خلدون عبد الرحمن محمد**(ت808 هـ / 1405م) ،**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،دار الكتاب اللبناني بيروت، ج4، 1968م.

13. **إبن سعيد المغربي** ، أبو الحسن علي بن موسي بن عبدالملك (ت685هـ)، **المعرب في حلى المغرب** ، تحقيق ، شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، ج1، ط2 ، 1964م .

14. **ابن عذارى** المراكشي ابو عبد الله محمد بن محمد(ت647 هـ)، **البيانُ المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب** ،تح بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، تونس،ط1، مج2، 1434-2013م.

15. ابن كثير أبو الفداء عماد الدين (ت774هـ\1373، المختصر تفسير ابن كثير،تحقيق محمد علي العابدين ، المجلد 2، دار النمير ،دمشق، ط7 ، 1982

16. **أبي الفلاح عبد الحي** ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسيرة، بيروت ، ط2، ج3، 1979 .

17. **الثعالبي عبد الملك**، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تح،محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،ج2، 1973.

18. **الحميدي** بن فتوح بن عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح،بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الاسلامي ، تونس، ط1، 2008م، ص 74.

19. **الحميري** ، محمد بن عبد المنعم ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح، إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت، ط1، 1975م.

20. **الذهبي** الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تح ، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1،مج8 ، 2003 م.

21. **القلقشندي** أحمد بن عليبن أبي اليمن (ت821هـ) ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج5، ط1.

22. **المراكشي** محي الدين عبد الواحد بن علي (ت667هـ/ 1269م) ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح، محمد العريان ،القاهرة ، 1938م.

23. **المسعودي** أبو الحسن علي بن الحسين(ت346هـ/957م) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار موفم للنشر ، الجزائر، 1989.

24. **المقري** شهاب الدين احمد بن محمد المعري(ت 1041هـ / 1632م)، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تح احسان عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان، ج3 ،1968 م.

25. **المقريزي** تقي الدين أحمد بن علي عبد القادر، **المواعظ والاعتبار**،القاهرة، ج1، 1913م.

26. **مؤلف مجهول**، **ذكر بلاد الأندلس**،تح، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية ، ط1، 2007م

27. **النباهي** علي بن عبد الله توفي بعد 793هـ(أبن الحسن)، **تاريخ قضاة الأندلس**، ت/مريم قاسم، دار الكتب العلمية،لبنان، ط1 ، 1995م.

28. **النويري** شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت733هـ / 1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج4، تح، كمال زكي، الهيئة المغربية العامة للكتاب، 1980م.

المراجع :

1. **إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا**، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3 ، 1986.
2. **أحمد فكري ، قرطبة في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،ط1، 1983م.
3. **ارسلان شكيب ، الحلل الأندلسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، ط1، (دار الكتاب
4. **أنيس الصولي ، تاريخ الدولة الأموية في قرطبة** ، المطبعة المصرية ، بغداد ، ج 1 ، ط1 ، 1936م.
5. **بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم في فتنة القرن الخامس الهجري (92–422هـ/711 – 1031م)**، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001.
6. **جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،ج1، 2012 م.
7. **حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، دار والمطبعة المستقبل ، ط1 ، القاهرة ، 1980م.
8. **خالد الصوفي ، عصر منصور الأندلس**، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1951.
9. **سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخالفة في الأندلس (316 هـ – 33هـ/928م–1030م)**، د.ط، مكتبة الإسكندرية ، مصر، 1997 م.
10. **طارق السويدان، الأندلس تاريخ مصور**، مطابع المجموعة الدولية ، الكويت، ط1، 2005م،
11. **عبد السلام أحمد الرفاعي ، الحاجب المنصور** ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط1 ، 1354هـ 1937م.

12. **عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير الإسلامي** ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981

- **تاريخ المسلمون وأثارهم في الأندلس**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1962.

13. **عبد العزيز فيلالي ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر، 1991.

14. **عبد المجيد النعنعي ، تاريخ الدولة العامرية الأموية في الأندلس التاريخ السياسي**، دار النهضة العربية، بيروت.

15. **عصام عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس** ،مكتبة النهضة ،القاهرة ،1990،

16. **علي أحمد عبد الله القحطاني ،الدولة العامرية في الأندلس**، جامهة أم القرى ،السعودية ،ط1 ، 1981 .

17. **علي أدهم، عصر منصور الأندلس**، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط1.

18. **فيليب حتى ، تاريخ العرب** ، ج2 ، ط1 ، دار الكشاف للنشر ، بيروت ، 2007م.

19. **محمد عبد الفتاح شرق الدين ، تاريخ السيادة الإسلامية على الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة** ، د. ط ، مكتبة الآداب، د.م ،1990.

20. **محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.

21. **محمد عبده حتامله ، الأندلس التاريخ الحضارة والمنحة** ،الأردن ،2000.

22. **هلال جودة و محمود صبح محمد ، قرطبة في التاريخ الإسلامي** ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1986 م.

المراجع المعربة:

1. **خوليو ريس روبيو** ، **الأندلس بحثا عن الهوية الغائبة** ، ترجمة ، غادة عمر طوسون ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة 2014 .
2. **رينهرت دوزي** ، **المسلمون في الأندلس** ، إسبانيا الإسلامية ، تر حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، ج2، 1994
3. **ستانلي لين بول، قصة العرب في اسبانيا** ،تر، علي الجارم بك ، دار المعارف ، مصر ، ط9 .

الموسوعات :

1. **حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس**، ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية، 1995م.

المقالات:

عبد الواحد ذنون طه ,تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في العصر الاموي ,كلية الادب ,جامعة الموصل .

الفهرس

الفهرس	الصفحة
شكر وتقدير	
إهداء	
دليل المختصرات	
مقدمة	أ ~ د
الفصل التمهيدي: طموحات المنصور في الوصول الى السلطة	8
1. التعريف بشخصية المنصور	8
2. نشأته	9
3. جوانب من شخصيته	12
4. تدرج محمد بن أبي عامر في اعتلاء المناصب	13
الفصل الأول: خبايا البيت العامري وأزمة الخلافة	18
1. دور المنصور محمد بن أبي عامر في إحباط مخطط الصقالبة والقضاء عليهم	18
2. دور المنصور في تولية هشام للخلافة	20
3. مكائد وخطط المنصور في التخلص من منافسيه	21
4. توليه منصب الحجابة وتحقيق الغاية	32
الفصل الثاني: تجهيز الجيش وتنظيم القوات المسلحة على عهد العامريين	35
1. تكوين جيش نظامي خاضع للمنصور	36
2. المواد العسكرية	40
3. البنية التكوينية للجيش العامري	49
الفصل الثالث: النشاط الجهادي للعامريين وتنفيذهم للخدع العسكرية	54
1. حملات المنصور ضد النصارى	55
1.1 الغزوات ضد مملكة ليون	55
2.1 الغزوات ضد مملكة نبرة	61

3.1 الغزوات ضد مملكة برشلونة	63
4.1 الغزوات ضد مملككة قشتالة	64
2. حملاته ضد المغرب والفاطميين	67
3. حنكة المنصور المنصور في تنفيذ الخطط العسكرية	70
4. وفاة المنصور وتولي ابنه عبد الملك الحجابة	78
5. تولي ابنه عبد الرحمان الحجابة ونهاية الدولة العامرية	84
الخاتمة	92
الملاحق	95
قائمة المصادر والمراجع	102
الفهرس	109

الملخص

يتناول هذا البحث الحملات الجهادية في الأندلس على عهد العامريين (366-399هـ / 977-1009م)، وتنبع أهمية هذا البحث في أنه يتطرق إلى علاقة الدولة العامرية في الأندلس وما بذلته من دور جهادي ضد الممالك الإسبانية كما هدفة هذه الدراسة إلى التعرف على السياسة التي انتهجها المنصور مُحَمَّد بن ابي عامر في حكمه للأندلس .

اشتملت هذه الدراسة على فصل تمهيدي و ثلاثة فصول وخاتمة، تعرضنا في الفصل التمهيدي الى التعريف بالمنصور ونشأته ولمحة عن جوانب من شخصيته وكيفية إعتلاءه للمناصب ، ففي الفصل الأول تحدثنا عن تخلصه من الصقالبة ودوره في تولية هشام المؤيد بالله الخلافة وتخلصه من مناوئيه ليصل إلى غايته منصب الحجابة، اما الفصل الثاني فتطرقنا الى تكوينه لجيش خاضع له، والأهم المواد العسكرية ومن ثم البنية التكوينية للجيش، وفي الفصل الأخير الذي هو محور دراستنا فتضمن أربع مباحث أولا أهم حملات المنصور على النصارى وحملاته على المغرب والفاطميين و استراتيجياته الحربية ثم وفاة المنصور وتولي ابنه عبد الملك الحجابة ثم تولي ابنه عبد الرحمان شنجول الحجابة ونهاية الدولة العامرية ، واستخلصنا أهم الاستنتاجات البحث في خاتمة مع ارفاقها بقائمة المصادر والمراجع وبعض الملاحق.

كلمات مفتاحية: الدولة العامرية، الجهاد، مُحَمَّد بن ابي عامر، عبد الملك المظفر، عبد الرحمان شنجول، الأندلس، هشام المؤيد بالله.

Abstract

This research deals with the Jihadi campaigns in Andalusia during the era of the Amiri (366-399 \ 977-1009 ad) The importance of this research stems from the fact that it deals with the relationship of the Amiri state in Andalusia and its jihadi role against the Spanish kingdoms, and the goal from this study is the politics pursued by Al-Mansur Muhammad bin Abi Amer in his rule of Andalusia.

This study included an introductory chapter and three chapters, and a conclusion. In the introductory chapter, we presented Al-Mansur, his upbringing, and an overview of the aspects of his personality and how he rose to positions, In the first chapter we talked about his liquidation of el Sakalibah and his role in Hisham al-Mu'ayyad Allah's assumption of the caliphate and, In the first chapter, we talked about his liquidation of Sulaibeh and his role in Hisham al-Mu'ayyad Allah's assumption of the caliphate and ridding him of his opponents in order to reach his goal as the center of governance. As for the second chapter, we discussed his formation of an army subject to him, The most important is the military equipment and then the composition of the army, In the last chapter, which is the focus of our study, it included four sections, first, the most important campaigns of al-Mansur against the Christians, his campaigns against the Maghreb and the Fatimids and his war strategies, then the death of al-Mansur and the assumption of his son Abd al-Malik al-Hijabah, then his son Abd al-Rahman Shanjul's assumption of al-Hijabah and the end of the Amiri state, and we drew the most important conclusions of the research in a conclusion with its attachments. List of sources, references and some appendices.

Key words: The Amiri state – El jihad – Mohamed ben abu amer – abd el malik el mudhaffar – Abd el rahmen Shanjul – Andalusia – Hicham Al muayyad bi Allah.